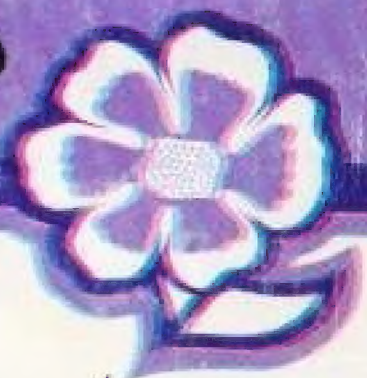
# روايات عبير





جانيت ديلي

# لعبة الحظ





١٠٢

# روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 102



## لعبة الحظ

ان تكون المرأة مستقلة برأيها ومشاريعها، معروفة بقدرتها في السيطرة على اعصابها وعواطفها، شيء جميل تتمناه كل امرأة لكن ان تكون باردة القلب مثلجة العواطف يهمها في الحياة مصالحها فقط... فإن الحب سيكون صعباً عليها دون شك.

اليزا سيدة بكل معنى الكلمة وهي التي طلبت يد زكاري بخلاف العادة. صحيح انها اشترطت زواجاً لا يعدو كونه عقداً بلا ارتباط، لكن الوقت والغيرة برهنا لها العكس، وشيئاً فشيئاً توترت مفاصلها ودب الحب في كل انحائها فتورطت وقامت تهيء حقيبتها للفرار...

# ١ـ اريد زوجاً!

جلس الشاب بارتياح على كرسيه أمام حوض السباحة التابع لأحد الفنادق الفخمة، وراح يتأمل الجسم البرونزي للفتاة المستلقية قربه. وقال بعد لحظات:

«من المؤسف ان تكوني ولدت بمثل هذه الطبيعة المتحجرة، لأنك لن تجدي اي صعوبة على الاطلاق في الحصول على زوج. . . ولك مثل هذا الوجه الجميل وهذا الجسم الرائع».

ظلت عيناها مغمضتين لرد وهج الشمس عنهما، وقالت:

«نسيت ان تضيف كلمة عن ثروتي، يا مايكل. واود ان اذكّرك أيضاً بأنني لم اولد بمثل هذه الطبيعة الباردة المتحجرة. امضيت سنوات طويلة من العمل الجاد والقاسي قبل ان اكتشف حسناتها

ومميزاتها».

عاد يتأملها من رأسها حتى أخمص قدميها، ويركز نظراته حول القطعتين الصغيرتين اللتين كانتا تغطيان جزءاً يسيراً من جسمها الجميل. تأمل وجهها الجذاب، وشعرها الأشقر الذهبي، وبشرتها الرقيقة الناعمة. اطلق ضحكة خفيفة دفعتها الى فتح عينيها، ثم قال لها بدون ان ينظر اليها:

«مسكينة انت، يا اليزا! حصّنت نفسك الى هذه الدرجة تجاه الرجال، ولكنك مضطرة للزواج من احدهم!».

جلست اليزا فرانكلين بعصبية وقالت له بحدة ظاهرة:

«لا أجد في ذلك ما يسلّيك او يرفّه عنك!».

تأملها لحظة ثم قال لها بلهجة ساخرة:

«ما بالك، ايتها العزيزة؟ والدتك هي المخطئة، أليس كذلك؟».

«كانت والدتي امرأة قديمة التفكير الى حدّ بعيد، وكانت تعتقد ان المرأة لا تكون مكتملة ما لم يكن لديها رجل!».

ضحك مايكل وعلّق قائلا:

«وتزوجت خمس مرّات لتثبت ذلك!».

«كانت انسانة غبية... امرأة ضعيفة الارادة تتعلق بالرجال بسرعة... سخيفة لا يهمها سوى العطور الفواحة والمناديل المطرزة! أدركت كم كنت اكره فصول الصيف التي امضيها مع روي ومارغريت... وكانت بسيطة لدرجة انها اقتنعت بآرائها وذكرت في وصيتها ان كريستين يجب ان تكون في عهدتها ورعايتها!».

«بالاضافة الى الثروة الطائلة التي...».

«لا يهمني المال ابداً، وانت تعرف ذلك. ترك لي ابي ما يكفيني، ولهذا السبب جعلت من كريستين وريثتها. لن تتمكن الطفلة المسكينة من التمتع بأي جزء من هذه الثروة نتيجة لتسلط مارغريت وروي عليها. كان عليك ان تشاهد نظراتها عندما تركتها امس.



اللعنة! ماذا سأفعل؟».

اجابها بخبث واضح:

«لا ادري سبب حماسك وعصبيتك. اوردت امك في وصيتها نصاً واضحاً يقول ان الفتاة ستصبح في عهدتك اذا تزوجت. الحلّ اذن بسيط للغاية... ما عليك الا ان تتزوجي».

ارادت ان تصرخ في وجهه وتقول... ابداً! ولكن نظرات كريستين الحزينة تراقصت في مخيلتها وجعلتها تخنق تلك الكلمة في حلقها. تململت في مكانها وقالت:

«نسيت الشرط الذي يقول انني مضطرة للعيش مع زوجي المرتقب سنة كاملة في اقل تقدير. لو لم تكن قريبي، يا مايكل، لتمكنت من حلّ جميع مشاكلي. لا يمكنني حالياً ان افكر بتمضية سهرة واحدة مع رجل، فكيف سأتمكن من العيش مع شخص اثني عشر شهراً!».

«انك تتحملينني لسبب واحد فقط وهو انني لا احاول ارضاء انانيتك وغرورك كما يفعل الآخرون. اني اعرفك مذ كنت طفلة صغيرة تركضين حولي كجرو صغير. اتصوّر ان سخريتك تسليني... وكذلك ثروتك!».

ردت عليه اليزا بنبرة هادئة وباردة، وتتسم بالعصبية البالغة، قائلة:

«لا تحاول اغاظتي، يا مايكل. انت في السادسة والعشرين ولا تكبرني الا بعامين فقط. انك مرافق مناسب لي، وتعجبني احياناً روحك المرحة. اما ما يهمني اكثر من ذلك كله انك لا تعرضني لمشاكل الحديث المؤلم عن الماضي واحزانه».

«الا تشعر فتاة الثلج بأي عاطفة اطلاقاً تجاهي؟ من الأفضل لك، يا عزيزتي، ان تجدي لنفسك زوجاً قد ترتاحين اليه بعض الشيء. اوه كم احب ان اراك زوجة لرجل متسلط قاسي يضربك مرتين كل يوم!».

وامسح هذه الابتسامة الخبيثة عن وجهك، فانا لن اتزوج احداً ما لم اشعر بانني انا التي ستكون صاحبة القرار، والشخص المهيمن في البيت».

وقفت اليزا بحدة ثم ابعدت خصلات شعرها عن وجهها، واضافت قائلة:

«هل حجزت طاولة للسهرة الباريسية، كما اوصيتك؟ ام انك انفقت المبلغ على طاولات القمار، كما فعلت ببقية المبالغ التي اعطيتك اياها منذ وصولنا الى نيفادا؟».

«لا، يا سيدتي العزيزة! اطعت اوامرك وحجزت افضل طاولة في القاعة».

وقف بقامته الممشوقة التي تزيدها بضعة سنتمترات وقال:

«سأمرّ عليك في الثامنة والنصف، كي نتمكن من تناول العشاء قبل حفلة الحادية عشرة».

وفيما استدارت لتذهب، سألها بهدوء:



«ماذا ستفعلين بالنسبة لكريستين؟».

اجابته بلهجة حادة وقوية، وبعنفوان واضح:

«ساجد زوجاً! سيكون شخصاً مرموقاً ومن احدى العائلات العريقة. لن اتزوج شخصاً حقيراً يسعى وراء الثروة والشهرة، واتحمّل بالتالي ضحكات الناس وسخريتهم، حتى من اجل اختي!».

لم تنتظره كي يعلق على جملتها، بل توجهت على الفور الى غرفتها وهي تسير بعزة وانفة... متجاهلة بازدراء نظرات الرجال وملاحظاتهم. كان تجاهلها التام لاهتمام الرجال بها حافزاً قوياً لهم على القيام بمزيد من المحاولات لكسب رضاها ومحبتها. الا ان عدم اهتمامها لم يكن مصطنعاً او مفتعلا، بل حقيقياً ونابعاً من الصميم.

لم تشعر اليزا بأنها تخلصت من النظرات الخسيسة والكلمات المقززة، الا عندما استلقت في حوض حمامها وغطت نفسها حتى



العنق بالماء الساخن والصابون المعطر. خرجت من الماء، ولفت جسمها بمنشفة بيضاء كبيرة، ثم جلست امام المرآة تنظر بعينين زائغتين الى نفسها. تذكرت اليزا انها تمنت مرة واحدة فقط لو انها ولدت كفتاة عادية بعيدة كل البعد عن هذا الجمال الباهر. ولكن ذلك التمني زال بسرعة، لأنها هي تحب الجمال والأشياء الجميلة... ولأنها كانت ستمقت نفسها لو لم تكن بمثل هذه النضارة وهذا البهاء. وادركت لتوها انها لو كانت فتاة بسيطة عادية، لكانت بالتأكيد ذات طبيعة رومنطيقية سخيفة تجعلها تتأوه وتتنهد كلما شاهدت رجلاً وسيماً او جذاباً.

لا، انها لا تقبل بذلك. ولهذا، تمكنت بنجاح من ان تسيطر على هذه المشاعر والأحاسيس الغبية. وابتسمت بمرارة، وبشيء من المرح في الوقت ذاته، عندما ادركت مدى امتنانها لوالدتها في تحقيق ما توصلت اليه من سيطرة تامة على عواطفها. انفصل والداها عن بعضهما عندما كانت طفلتهما الوحيدة في الثالثة من عمرها. وبعد سنتين تقريباً، قتل والدها في حادث سيارة. تعلقت طويلا بصورته وبما كان يرمز اليه من أبوة وحنان. ولكن تعداد الأزواج في حياة امها جعلها تفقد الثقة بالرجال وبالزواج على حدّ سواء. بدا لها في حداثة سنها انها ستمضي طوال حياتها في عهدة مارغريت وروي لتفسح المجال امام شهر عسل جديد او طلاق جديد.

كان الصيف وهي في سن الخامسة عشرة اكثر الأوقات عذاباً وألماً في حياتها. تعرضت خلاله لصدمة لم تشهد لها مثيلا من قبل. كان زوج امها الثالث ثرياً كبقية الأزواج، ولكنه ابدى اهتماما خاصاً بالصبية التي بدأت تظهر عليها معالم الأنوثة بشكل ملفت للنظر. كان يأخذها كل يوم تقريباً في رحلة بحرية، بينما تبقى امها على الشاطىء، لأنها لم تكن تحب البحر كثيراً. واحست اليزا في احدى تلك المرّات بتحوّل جلي وواضح في اهتمامه بها.

كان يوماً رائعاً هدأ فيه الهواء وموج البحر، ولم تسمع خلاله سوى

اصوات الطيور التي كانت تحلق في الفضاء. تمددت اليزا على سطح المركب الشراعي الكبير، وهي ترتدي ثوب سباحة من قطعتين ابتاعته لها امها في العام السابق. تذكرت كيف اقترب منها زوج امها وراح يحدق بجسمها النامي باعجاب ورغبة. وتذكرت كيف شعرت آنذاك باستغراب تحوّل فجأة الى خوف وذعر، لأنهما كانا وحيدين وعلى بعد حوالى اربعة كيلومترات عن الشاطىء. جلس قربها وطلب منها بصوت اجش ان تحل شعرها من العقدة التي ربطته بها. فعلت ذلك وهي خائفة الى درجة كبيرة. مد يده واخذ يداعب الخصلات الشقراء الذهبية. لاحظت ان في الأمر شيئاً مريباً وغير طبيعي، فحاولت النهوض... ولكنه وضع يده الاخرى وأرغمها على البقاء ممددة امامه. ثم اقترب منها وقال متمتماً:

«ما رأيك في اعطاء عمك العجوز قبلة طيبة؟»

صرخت، وركلت، واستخدمت اظافرها، لتبعده عنها... ولكن دون جدوى. لا تزال تذكر حتى الآن الاشمئزاز الذي شعرت به آنئذ، قبل ان تتمكن من الافلات منه والقفز الى الماء. كانت سعيدة الحظ عندما شاهدت زورقاً نقلها صاحبه الى الشاطىء، حيث اخذت تبكي على كتف امها المذعورة وتخبرها بما حدث.

لم يخفف طلاق امها من ذلك الرجل وزواجها الناجح بعد فترة من دايل باترسون من الآلام التي شعرت بها بعد ظهر ذلك اليوم اللعين. وبدأت اليزا منذ ذلك الحين تدرّب نفسها على التحفظ تجاه الرجال واظهار البرودة والجفاف معهم. كانت تدرك طوال السنوات اللاحقة ان جمالها محط انظار الجنس الآخر وسبب حسد رفيقاتها. لكنها لم تشعر بأي اهتمام يذكر تجاه اي من الشبان الذين تعرّفت اليهم. لاحظت باشمئزاز متزايد ان الشاب الذي كانت توافق على الخروج معه، لم يكن ليهتم كثيراً بالتحدث اليها او بمجرّد الاستماع. حاولت في البداية تحمّل تلك العناقات التي كان يصر عليها الشبان لدى اعادتها ليلاً الى البيت. ولكنهم كانوا يتوقعون المزيد في المرة



التالية. بدأت ترفض تدريجاً جميع الدعوات التي توجه اليها، لأنها لم تعد تتحمل ما كان يفترض بها فعله كلما لبّت دعوة او قبلت مرافقة شخص الى سهره ما. تجنبت جميع السهرات الاجتماعية تقريباً. اما تلك التي لم يكن بدّ من حضورها، فكانت تأخذ معها قريبها مايكل.

لم يعد يهمها في الحياة الا القراءة وكريستين... اختها من امها.

تنهدت اليزا بانزعاج وهي تأخذ الفرشاة لتسريح شعرها. انها تريد تلك الأخت نصف الشقيقة التي لم تنضج بعد. تحبها كثيراً لأنها اعتنت بها وربتها مذ كانت طفلة صغيرة. وكي تستعيدها، عليها ان تتزوج. هذه هي وصية والدتها التي اقرّتها المحكمة. انه حلّ بسيط للغاية بالنسبة لفتاة جميلة وثرية مثلها، لكنه حلّ مزعج يثير قرفها واشمئزازها. اخذت اسماء الأزواج المحتملين ووجوههم تمرّ بسرعة في مخيلتها، فيما كان عقلها يرفضهم الواحد تلو الآخر. لم تشكك ابداً في قدرتها على حمل اي من هؤلاء على القبول بالزواج منها. ولكنها كانت تحتقر الذين يطرحون انفسهم وتمنت اليزا بصمت، وهي تبتسم، لو بامكانها شراء زوج يعجبها ويتمتع بالمواصفات التي حددتها له!

كانت الحفلة رائعة وفي الاتقان والابداع، الا ان اليزا لم تتمتع بها. كان تفكيرها مركزاً طوال الوقت على ايجاد حل لمشكلتها النفسية. عندما مرّ مايكل لمرافقتها الى المطعم ومنه الى النادي، كانت عاقدة العزم على ترك افكارها جانباً والتمتع بوقتها الى أبعد الحدود. ارتدت اجمل فساتين السهرة المتوفرة لديها، وكانت تبدو غاية في الجمال والأناقة والذوق. ولما دخلت ومايكل القاعة الرئيسية، تحولت كافة الانظار اليها... الرجال باعجاب ورغبة والنساء بحسد وغيرة! اما اهتمام مايكل فتحوّل بسرعة الى طاولات النرد الخضراء. حزنت اليزا لأجله دون اي شعور بالعطف تجاهه او التعاطف معه. انفق المال الذي ورثه خلال اقل من سنة، ولكنه على ما يبدو لا يزال متشوقاً لانفاق المزيد وخسارة مبالغ اضافية. وضعت يدها برقة على

ذراعه، فلحق بها متردداً وراحا يتجولان بين تلك الحشود الغفيرة.

كان الرابحون يصرخون بفرح وسعادة، والخاسرون يتأوهون ويتذمرون باصوات عالية. الذين يرتدون اجمل ثياب السهرة واغلاها، يحتكون بالذين يرتدون الثياب العادية. لم يكن هناك سوى مكان واحد يفصل بين الاغنياء والناس العاديين، وعلمت اليزا ان خطواتها ستقودها حتماً الى ذلك المكان المنفصل وشعرت بان لعابها يجف واعصابها تتحرك، وهي على وشك الاشتراك في لعبة الحظ المخصصة للطبقة الارستقراطية الثرية. تحب هذه اللعبة كثيراً، ولكنها لا تتهور. اذا ربحت تتوقف عن اللعب، واذا خسرت تتوقف ايضاً عند حد معيّن. فهي تعلم علم اليقين انه طالما لديها تلك الأموال التي ورثتها عن امها، فهناك يوم آخر... ومجال آخر.

وقف مايكل صامتاً بقربها، يتأمل باعجاب وحسد برودة اعصابها. سوف تنظر اليه خلال لحظات، لتعطيه بعض المال كي يذهب الى طاولات النرد. راقبت اليزا بعينين زرقاوين واسعتين، وباعصاب هادئة، بقية اللاعبين واساليب لعبهم. تجاهلت الشابات اللواتي تضعهن ادارة الفندق حول الطاولة لاضافة رونق... وتشجيع اللاعبين. ولكن دقات نبضها تسارعت عندما وقع نظرها على اللاعب الأخير.

كان شعره الأسود الجميل يلمع تحت الأضواء الناعمة، وحاجباه يغطيان الى حد ما عينيه البنيتين الجميلتين. اعجبتها نظراته الفاحصة يوجهها بهدوء واهتمام بالغين الى الاوراق الموجودة امامه. انفه حاد، وجهه جذاب، بشرته برونزية، واكثر من ذلك ان فمه رائع وقاس. رفعت حاجبيها باعجاب واضح وبحشرية بالغة. لا يمكن ان يكون هناك شخصان متشابهان الى هذه الدرجة. نظرت الى قريبها وسألته بهدوء:

«ماذا تعرف عن ذلك الرجل الذي يجلس الى يسار موزع الورق؟».



تطلع نحوها مايكل بدهشة واستغراب. لم تهتم اليزا ابداً في السابق بمن يلعب، ولم تبد الا نادراً اي اهتمام يذكر بشخصيات اللاعبين او اشكالهم. ولكنه اطاعها كعادته ونظر نحو الرجل. وضع يده على فمه لاخفاء دهشته، وعندما نظر ثانية الى اليزا اصيب بدهشة مماثلة عندما شاهد ذلك البريق الغريب في عينيها. قال لها:

«انه زاكاري ستيوارت. لم اره في نيفادا منذ ما قبل وفاة والده، انه لاعب عنيد وقاس، او على الأقل هكذا كان. صاحب حظ لا يصدق، مع انه لا يهتم كثيراً ان خسر ام ربح. افعلي مثله ولن تندمي!».

«لا يهمني كيف يلعب او ماذا تكون نتيجة لعبه، ولكني اريد ان اعرف كل شيء ممكن عنه، يا مايكل».

سألها عن سبب اهتمامها المفاجىء، فنظرت اليه بطريقة جعلته يعتذر عن تدخله ويقول:

«انك على الأرجح تعرفين عنه بقدر ما اعرف انا. اني متأكد من انك شاهدته اكثر من مرة في حفلات اليزابيث في سان فرانسيسكو كان والده احد اقوى رجال الأعمال في حقلي الاستيراد والتصدير، ويعمل ايضاً في شراء الاراضي وبيعها... بالاضافة الى مشاريع البناء واستصلاح الأراضي. خسر كثيراً قبل حوالى سبع سنوات، عندما خصص مبالغ طائلة لمشروع زراعي تعرض للفشل نتيجة عوامل طبيعية غير متوقعة. ويقال ان الحادث الذي اودى بحياته لم يكن الا انتحاراً، ولكن هذا الامر لم يتأكد اطلاقاً. كان زاكاري في الخامسة والعشرين من عمره، وورث عن والده... جميع ديونه. ومنذ ذلك الحين، توقف عن المجيء الى نيفادا... ونوادي القمار. سمعت ان الشيء الوحيد الذي تمكن من الاحتفاظ به، باستثناء منزل امه في سان فرانسيسكو، بستان ليمون وبرتقال في وادي نابا. اهمل والده ذلك البستان ومعمل العصير القائم فيه سنوات عديدة. ولذا فاني اتصوّر ان اي ارباح قليلة جناها منها خلال السنوات

القليلة الماضية، اعاد انفاقها هناك لتحسين البستان وتطوير المعمل الصغير فيه».

ابتسمت اليزا بخبث واضح، وقالت لنفسها بمرارة مفرحة ان السيد المتعجرف المتغطرس بحاجة ماسة الى المال. ثم قالت لمايكل:

«يبدو انه رجل مستعد للقيام بأي شيء للحصول على بعض المال!».

«لست متأكداً من ذلك. ولكن يمكننا القول انه قادر على ان يكون قاسياً الى درجة كبيرة عندما يريد الحصول على مبتغاه».

«هل هو متزوج؟».

«زاكاري؟ لا، يا عزيزتي. هل يبدو كشخص يقبل بالزواج؟».

وضحك مايكل ثم مضى الى القول:

«حاول عدد كبير من النساء ايقاعه في الشرك، ولكنهن فشلن فشلاً ذريعاً، رأيه في النساء مشابه لرأيك في الرجال، مع فارق وحيد هو اعتقاده الراسخ بأن وجود النساء على الأرض له هدف واحد... هو ارضاء الرجال جسدياً. أنا متأكد من انه لم يجد بعد امرأة تحرمه من تلك المتعة أو تتردد في تقديمها اليه».

تأمل وجه اليزا بعينين ساخرتين، الى ان شاهد نظرات قاسية وجدية تحل محل الهدوء والاهتمام، فسارع الى القول:

«اوه، لا، يا اليزا. اذا كنت تفكرين، كما اتصوّر فالأفضل لك ان تتخلي عن هذه الفكرة. انه رجل يختلف عن بقية الرجال الذين تعرفينهم».

شعرت اليزا للحظة واحدة بالخوف مما قاله مايكل واوحى به. ولكنها استعادت ثقتها وتصميمها بسرعة، وقالت:

«انه يفي بجميع المتطلبات. فهو ابن عائلة عريقة مرموقة... مع انها منيت مرة بخسارة مادية كبيرة، وهو بحاجة الى المال. ليس امامنا الا تحديد الثمن، يا عزيزي مايكل».

«فكّري جيداً بالمبلغ الذي ستضطرين لدفعه، يا اليزا».



اعطته كمية قليلة من المال، وسارت نحو طاولة الحظ غير عابئة بما قاله لها. وجّه اليها جميع الرجال، باستثناء زاكاري، نظرات الاعجاب والترحيب الحار. شعرت بانه غير مهتم بها، فقررت على الفور ان تبذل ما في وسعها لجذب انتباهه. انتظرته اولاً كي يراهن... ثم تصرفت عكسه تماماً كان الحظ بجانبه، الا انه حافظ طوال الوقت على هدوئه ورباطة جأشه. لم تظهر معالم البهجة والسرور على وجهه، كما انه لم يبد اي اهتمام على الاطلاق بطريقة لعبها او بمدى خسارتها.

اوقعت حقيبة يدها عمداً وتظاهرت بأنها تنتظر احداً من السادة كي يلتقطها لها. وما ان همّ بالانحناء لاعادة الحقيبة، حتى سبقته الى ذلك والتقطتها بنفسها... وبعد دقائق معدودة، اخرجت سيجارة ووضعت طرفها بين شفتيها... وانتظرت. وعندما اخرج زاكاري قداحته الذهبية من جيبه، استدارت نحو رجل مسنّ في الجانب الآخر وطلبت منه بغنج ان يشعلها لها. ونجحت، بتجاهلها المتعمد، في لفت انتباهه اليها.

شعرت بأن المبلغ الذي خصصته لتلك اللعبة اخذ ينضب بسرعة، فامتنعت موقتاً عن المشاركة وارتاحت في كرسيها وهي تتابع اللعب بدون اكتراث. احست بانه يراقبها، فنظرت اليه بعينين تبرقان سروراً وبهجة بسبب دخولها المفاجىء في هذه اللعبة الجديدة. سألها بصوت هادىء:

«هل تشربين معي فنجاناً من القهوة؟».

ردت عليه ببرود وجفاف جارح:

«انا لا اعرفك، يا سيد».

«ليست هناك اي صعوبة لتصحيح الوضع القائم. اسمي زاكاري ستيوارت».

احست بطعم الانتصار عندما وقف وبدأ يساعدها على النهوض من كرسيها، وقالت له بهدوء:

«اليزا... اليزا فرانكلين».

امسك بيدها واخذها الى زاوية بعيدة عن الضجيج تلفها اضواء خافتة. لاحظت بانزعاج بالغ انه اطول منها بكثير. لم يكن اي من رفاق سهراتها اطول منها، ولكن ذقن زاكاري ستيوارت كانت اعلى من جبينها. تصورته اولا نحيل الجسم، وذلك بسبب طوله الفارع، الا انها اكتشفت لدى مغادرتهما القاعة بانه ذو منكبين عريضين وجسم قوي. اخافتها قامته الطويلة، وسرّت كثيراً عندما جلسا الى الطاولة ولم تعد مضطرة لرفع عينيها اليه.

وكما انه لم يسألها الى اين تحب الذهاب، كذلك طلب من النادل فنجانين من القهوة المرّة دون ان يستشيرها اذا كانت تحب ذلك ام لا. شعرت بالانزعاج... فمع ايّ شخص آخر، وفي ايّ ظروف اخرى، كانت اليزا سترفض القهوة بمجرد احضارها الى الطاولة... لا لشيء الا للتأكيد على قوة شخصيتها ونفوذها. اما في هذه الحالة بالذات، فقد سيطرت على اعصابها وقبلت القهوة بتهذيب ومجاملة. اخرجت سيجارة من علبتها، فظهرت امامها على الفور القداحة الذهبية تشعلها لها. وسمعته يقول بهدوء:

«اخبريني... هل انت دائماً هكذا؟».

«عفواً؟ لم افهم ما تعنيه!».

«اني اتحدث عن مسألة اشعال سجائرك. استخدمت اسلوباً مزعجاً ومهيناً لجذب انتباهي اليك. ولكنك نجحت بصورة تامة».

لم يكن النور كافياً كي تشاهد ملامح وجهه بوضوح لكنه بدا من صوته ولهجته انه يجد لعبتها مسلية ولا بأس بها على الاطلاق. تنحنح قليلا ثم مضى الى القول:

«اليزا فرانكلين. اعتقدت انني سمعت اسمك من قبل».

«محتمل جداً، امي، اليانور باترسون التي قتلت في حادث تحطم طائرة قبل أسابيع قليلة».

رد عليها بجملة ساخرة ضايقتها كثيراً وجعلت اعصاب وجهها



تتقلص بسرعة:

«ارى انك حزينة جداً وتتفجعين عليها كثيراً».

«اعتقد انني سمعت عنك من قبل، يا سيد ستيوارت. الم يكن والدك ذلك الرجل القوي الثري في سان فرانسيسكو قبل... قبل وفاته المبكرة؟».

توقفت لحظة في تلك الجملة لتثبت له انها تعرف اكثر من ذلك، ثم اضافت:

«اتصوّر ان لديك بستان حمضيات ومعمل في وادي نابا، أليس كذلك؟».

«يبدو انك تعرفين الكثير عني، يا آنسة».

قالت له بنعومة مزعجة:

«قليل من هنا، وقليل من هناك، كيف يسير عملك؟».

اقترب زاكاري منها، فألقت الشمعة بعض الضوء على وجهه واظهرت ابتسامته الساخرة. تأملها لحظة ثم قال لها بلهجة خبيثة الى حدّ ما:

«لدي شعور غريب بانك ستصابين بخيبة امل لو قلت لك ان الأمور تسير على ما يرام».

ثم نظر اليها بعينين قاسيتين وقال بصراحة ازعجتها وافزعتها:

«يبدو انك لست متحمسة كثيراً للحصول على مفتاح غرفتي في هذا الفندق. فلماذا لا تخبريني عن السبب الحقيقي لقبولك دعوتي المتواضعة هذه؟».

«انك محق تماماً. انا اكره اضاعة الوقت بأمور تافهة وجانبية. اريد ان اعرض عليك شيئاً، يا سيد ستيوارت. انه عرض تجاري، فلا سبب لرفع حاجبيك استغراباً!».

لم يصدر عنه اي رد فعل فوري. حاولت اليزا اخفاء امتعاضها المتزايد، الا انها لم تنجح تماماً وقالت بشيء من الحدة:

«اظن انك تفتقر حاليا الى سيولة كافية، وانك بحاجة لبعض المال

كي تطوّر بستانك وتجري تحسينات على معملك. انا مستعدة لتزويدك بما تحتاج اليه، يا سيد ستيوارت».

«عرض مثير للاهتمام، ولكني اتساءل بدهشة واستغراب بالغين عن سبب اختيارك اعمالي انا كي تستثمري فيها اموالك. من المؤكد ان هناك ما تريدين الحصول عليه مقابل ذلك. فماذا تريدين، يا آنسة؟».

«اريد زوجاً».

ضحك الرجل وقال:

«لا شك في ان هناك عدداً كبيراً من الرجال الراغبين في الزواج، الذين سيقفزون فرحاً اذا سنحت لهم فرصة ذهبية كهذه... الزواج من شابة جميلة وثرية مثلك. ولكن اتذكر اني سمعت مرة عن علاقة تربطك بشخص يدعى بول اندروز. فلماذا لم تتزوجيه؟».

«بول؟».

تذكرت اليزا بسرعة صورة الرجل القوي الطيب ذي الشعر البني الفاتح، ثم اضافت قائلة بلهجة توحي بالاشمئزاز:

«انه شخص ضعيف غبي كان يدور حولي كقطة صغيرة جائعة، وكانت يداه دائماً تنضحان عرقاً».

«هل تعرفين انه حاول الانتحار عندما امرته بالابتعاد عنك؟ اعتقد ان تلك المحاولة وقعت قبل حوالى سنة».

«كان عملاً يتّسم بالرعونة وضعف الشخصية. ومن الواضح انه لم يكن قادراً حتى على النجاح في محاولته تلك».

شعرت اليزا بأن الحديث عن بول اندروز مملّ للغاية، ويبعدها عن الهدف الحقيقي لوجودها مع زاكاري. اضافت قائلة بنبرة قوية وهادئة:

«لن يكون زواجي المقترح الا لفترة مؤقتة، ولهذا فضّلت التعاطي مع شخص غريب تماماً».

«هل انت حامل؟».



«طبعاً لا!».

جاء نفيها حاداً وقاطعاً وغاضباً. فتأملها زاكاري قليلاً، ثم ابتسم وقال لها بسخريته المعهودة:

«انه السبب المعتاد والمعروف الذي يدفع النساء الى الزواج بمثل هذه السرعة، وعلى هذا النحو المثير للدهشة والاستغراب. اخبريني، يا آنسة، ما هو السبب الحقيقي اذن لرغبتك في الزواج من انسان غريب؟».

ردت عليه بتحدّ قاس، وهي تتمنى لو ان في استطاعتها صفعه بقوة على وجهه لازالة تلك النظرات الحادة واللاذعة التي كان يوجهها اليها. قالت:

«السبب هو اختي نصف الشقيقة، التي تبلغ السابعة من عمرها. اوردت امي في وصيتها نصاً صريحاً يقول انه ليس بامكاني الاحتفاظ بكريستين نهائياً ما لم اتزوج واعش مع زوجي سنة بكاملها. وذكرت انني ما لم افعل ذلك، فسوف تصبح الفتاة في عهدة خالي وزوجته».

«هل تحبين الفتاة الصغيرة ام انك تكرهين خالك وزوجته؟».

«مشاعري بالنسبة للجانبين قوية جداً... احبها، واكرههما!».

اشعل سيجارة اخرى، فبدت على ضوء القداحة عينان قاسيتان ملتهبتان. سألها ببرودة اعصاب اثارتها وضايقتها:

«ما هو المبلغ الذي تريدين دفعه، فيما لو قبلت اقتراحك السخيف هذا؟».

«يعتمد الأمر كثيراً على ما تحتاجه انت».

«يتطلب تطوير البستان وتزويد المعمل بمعدات حديثة حوالى مئتي الف دولار. فما رأيك؟».

عضت اليزا على شفتها بقوة لتمنع نفسها من توجيه اقبح الشتائم اليه، ثم قالت له بهدوء مصطنع:

«انك رجل مرتفع الثمن».

«ستحققين انت مأربك، واتوصل انا الى الغاية التي اصبو اليها. حريتي غالية جداً بالنسبة اليّ، يا اليزا».

ثم ابتسم وسألها بنعومة صادقة:

«لماذا اخترتني انا بالذات؟».

تذكرت اليزا كلام مايكل عن حفلات اليزابيث. التقته في احداها، وكان بول اندروز آنذاك قد بدأ يزعجها ويضايقها. تركها لحظة وذهب ليرحّب بالرجل الطويل القامة الذي وصل لتوه. حاول اقناع زاكاري بالاقتراب منها لتقديمها اليه... ولكنه رفض ذلك باصرار. وتذكرت ايضاً انها سمعته صدفة يتحدث الى اشخاص آخرين. لم يكن رجلا يمكن تناسيه بسهولة. اغاظته بعض النساء آنئذ لأنه يتردد في التعرّف الى صديقة بول الجديدة... اليها هي، فقال لهن بغطرسة الرجل الذي يحصل دائماً على ما يريده ويشتهيه:

«انها ليست من النوع الذي احب، او الذي يثير اهتمامي. لن اضيّع وقتي مع شقراء غبية باردة تخاف ان تفسد مداعبة الرجل تسريحة شعرها. افضل فتاة ذات قلب اكبر ونار اقوى. صديقة بول باردة كالثلج».

استعادت اليزا بسرعة ذكرياتها عن تلك الحفلة، ثم اختارت كلماتها بدقة وعناية قبل ان تقول له:

«اخترتك انت، يا سيد ستيوارت، لأنك ابن عائلة عريقة ومرموقة... ولأن الناس الذين اعرفهم ينظرون اليك بشيء من الاحترام والتقدير، على الرغم من مصاعبك المالية. لست فتى غبيا مدللا لا يعرف شيئاً، ولا يقدر على اتخاذ قراراته بنفسه. يعجبني فيك عنفوانك... وتصميمك على تحقيق اهدافك بغض النظر عن المصاعب والأهوال التي قد تواجهك. انت الآن بحاجة للمال... وانا قادرة على تزويدك به».

خيّم الصمت فترة طويلة. وعندما تحدث زاكاري، كان صوته



هادئاً ولهجته مرحة:

«يبدو انك لا تنظرين اليّ باحترام كبير، يا آنستي!».

«انا لا انظر باحترام كبير الى ايّ رجل، يا سيد ستيوارت».

«وما هو شعورك بالنسبة للحب؟».

«الممارسة ام الاحساس؟».

قبلت السيجارة التي قدمها اليها وهي تنظر اليه ببرودة جافة، ثم اضافت:

«لا يهمني اي منهما. اذا كنت حقيقة تريد معرفة مشاعري بالنسبة اليهما، فاني انظر اليهما باحتقار مماثل. فالممارسة... اعتبرها امراً مشيناً ويحط من قدر النساء، والعاطفة او الاحساس... سمّها ما شئت... ليست الا فخاً او شركاً ينصبه الرجال ليتأكدوا من ان المرأة سترضخ لرغباتهم وتفعل ما يريدون ويبتغون».

تأمل وجهها وجسمها بعينين فاحصتين ثم قال لها:

«قد اتمكن خلال السنة التي ستمضينها معي من تعليمك معنى الحب وقيمته».

ثم هز كتفيه كدليل اللامبالاة، واضاف قائلا:

«ولكن... ربما ستثبتين لي انك تلميذة صعبة المراس، وقد اضيع وقتي معك عبثاً».

اجابته بلهجة قاسية لتؤكد له نهائياً حقيقة ما تصبو اليه وتريده:

«يسرني جداً انك تشعر هكذا، لأن الزواج المقترح ليس سوى مجرد صفقة تجارية!».

«صحيح».

«هل افهم منك انك تقبل عرضي؟».

«نعم، ولكن مع بعض الشروط».

«ما هي شروطك يا سيد ستيوارت؟».

«اولا، مبلغ المئتي الف دولار هو لي وافعل به ما اريد وكما

الشهي. اذا استمرّ زواجنا اسبوعاً او شهراً او سنة، فالمبلغ لي اتصرف به كما اشاء . . . لأنه ثمن منحك اسمي».

ابتسم عندما شاهد ملامح الاهانة على وجهها، ومضى الى القول:

«ثانياً، سوف تتصرفين معي طوال فترة زواجنا كزوجة حقيقية . . . تعيش معي حيثما اعيش، وتنفق حسبما يمكنني انا ان اوفر لها من نفقات. اؤكد لك بان منزلي مريح للغاية، وطاولتي جاهزة دائماً لاستقبال الضيوف. واخيراً . . . انا مقتنع تماماً بان عنفوانك وعزة نفسك سيفرضان عليك عدم الافصاح لأي شخص آخر بان زواجنا المرتقب ليس الا صفقة تجارية تم التوصل اليها لاهداف مختلفة. ولذا فاني اتوقع منك ان تحاولي التصرّف امام الاهل والاصدقاء على الأقل، كزوجة محبة عاشقة».

بذلت جهوداً جبّارة لاخفاء حنقها وغضبها المتزايدين، وسألته باستخفاف:

«هل هذا كل شيء؟ هل يشعر غرورك وعنجهيتك كرجل بالارتياح والرضى؟».

«في الوقت الحاضر، نعم، متى سيتم الزواج؟».

تأملت اليزا تلك السعادة الشيطانية الخبيثة في ملامحه، وتمنت لو ان بامكانها مضايقته بنظرات الازدراء التي كانت توجهها اليه . . . والتي كانت عادة تحطم قلوب الرجال الأخرين. ولكن اللعين ظلّ مبتسماً وبادي الانشراح، فقالت له وهي تنهض من مقعدها بانفة وكبرياء:

«باسرع وقت ممكن».

مد يده لمصافحتها وقال:

«سأقوم اذن بالترتيبات اللازمة».

وضعت يدها في يده وهي تتساءل اذا كانت هذه المصافحة التقليدية رمزاً للاتفاق بين طرفين، ام انها في الواقع دليل على بداية



مستقبل غامض يبشر بالعذاب والألم. نظر زاكاري الى يديهما المتشابكتين، وتمتم قائلاً:

«يا للغرابة! يدك باردة جداً، يا عزيزتي».

حاولت سحب يدها ولكنه امسك بها بقوة ومنعها من ذلك. قالت له انها تستغرب ملاحظته ولا تجد لها داعياً، فنظر اليها بعينين تشعان بنار ملتهبة وقال ضاحكاً:

«الم تسمعي الكلمة المأثورة عن ان صاحبة اليدين الباردتين تكون عادة ذات قلب دافىء وعاطفة جياشة؟».

«انها جملة سخيفة لا تزال ترددها بعض الزوجات الغبيات».

افلتت يدها من قبضته وبدأت تعود الى قاعة اللعب، فقال لها بعد ان اقترب منها بسرعة وامسك بذراعها:

«سأكون حريصاً جداً لو كنت مكانك، ايتها العزيزة. ثمة جانب حنون ودافىء موجود فعلاً في قلبك المتحجّر البارد . . . وهو الجانب المتعلق باحتك. قد تشتعل ذات يوم نار حارقة تذيب البقية الباقية من هذا القلب الجامد».

«اني محصنة تماماً بالنسبة لنوع الاشتعال الذي تتحدث عنه وتوحي به».

ابتسم بخبث وقال لها:

«هذه نقطة اخرى اريد اطلاعك عليها. فانا، على العكس منك، لست محصناً ضد نار الغرام والهيام. وبما انه من الواضح جداً ان زواجنا لن يكون الا اسمياً، فاني آمل مخلصاً في ان تكوني متفهمة لوضعي ورغباتي . . . ولا تنتظري مني ان احرم نفسي رغباتها».

ردت عليه بهدوء، مع انها لم تحاول اخفاء اشمئزازها:

«لا يهمني ابداً كم ستقيم من هذه العلاقات الغرامية الحقيرة والمقززة. ولكن ارجو ان تكون لديك لباقة كافية للابقاء على مثل

هذه العلاقات طيّ الكتمان. والآن. . . اعذرني، ارى صديقة لي تنتظرني في الجانب الآخر».

لم يعترض زاكاري على ذلك، بل قال لها بنعومة ورقة:

«حسناً. سأتصل بك في تمام العاشرة لأبلغك عن موعد. . . زواجنا. . . ومكانه. في اي غرفة تقيمين؟».

اعطته اليزا رقم الغرفة وهي تنظر اليه بازدراء وغضب، لان نظراته اليها كانت توحي بانه يقدّم لها خدمة عظيمة. رفعت رأسها بكبرياء وتوجهت بسرعة نحو مايكل، الذي كان كعادته غارقاً في لعبة الحظ الخاسرة.

تمكنت بعد جهد بالغ من ابعاده عن طاولة النرد ثم اخبرته عما اتفقت عليه مع زاكاري ستيوارت. اصيب مايكل بصدمة قوية، واعلن لها صراحة انه ضد هذا الزواج المقترح. كان يعرف عنه اكثر بكثير مما قاله لها سابقاً. لم يذكر لها الا بعض المعلومات العامة، لانه لم يكن يتصور ابداً ان زاكاري سيقبل بمثل هذا العرض المستهجن. . . او حتى ان يبحث فيه. ضاعت تحذيراته هباء، عندما حاول افهامها بان ستيوارت رجل قاس لا يعرف الرحمة والشفقة. . . وبخاصة فيما يتعلق بتحقيق مآربه او الوصول الى اهدافه. قال لها ان ستيوارت يحطم من يعارضه، وانه لا يتردد في ايقاع النساء في شباكه. لا يهمه ان كانت المرأة متزوجة ام لا، راغبة ام لا. . . مع انه نادراً ما يواجه امرأة غير راغبة.

ولكن اليزا اعارت له اذناً صماء، لانها كانت واثقة من قدرتها على مواجهة اي مشكلة ومعالجتها بالاسلوب المناسب. تعلمت في حياتها، التي لا تتجاوز الاربع وعشرين سنة، كيف تصد الرجال عنها. . . وكيف تتمكن من اذلالهم كلما حاولوا مضايقتها او السيطرة عليها. قد يكون زاكاري ستيوارت منافساً عنيداً وخصماً قوياً، ولكنه ليس سوى رجل تعرف كيف تديره وتسيطر عليه. انه ليس كما يحاول مايكل تصويره، ذلك الشيطان الشرس الذي لا تقوى امرأة على



مواجهته ومقاومته. . . حتى ولو كانت اليزا فرانكلين لكنه ليس ذلك الشخص الذي لا يقهرا قد يثير اعصابها ويقرزها ولكنها ستكون بالتأكيد قادرة على معالجة اموره طالما انها لا تسمح لغضبها بأن يحلّ محل الهدوء وبرودة الأعصاب. واهمّ من ذلك كله، انها ستحصل على كريستين. كل شيء، فيما عدا ذلك، تافه وثانوي.

اصيبت تلك الليلة بأرق شديد، ولم تتمكن من النوم الاّ في ساعات الصباح الأولى. ايقظتها طرقات متعددة ومتتالية على باب غرفتها، ففتحت عينيها بصعوبة وقامت بتثاقل وكسل لتفتح الباب. انها العاشرة الا ربعاً، ولا بد ان يكون الطارق نادلاً يحمل لها فطور الصباح. ارتدت عباءة زرقاء جميلة فوق ثياب النوم الشفافة، وفتحت الباب. . .

حدقت بذهول بالغ الى الرجل الطويل الأسمر، ثم رفعت يديها بطريقة لا شعورية لتضعها على صدرها. حياها زاكاري ثم دخل الغرفة دون ان ينتظر منها دعوة او اشارة. حاولت ان تتحدث معه بطريقة عادية، ولكن صوتها المرتجف اظهر بوضوح دهشتها وخجلها. قالت له متلعثمة:

«قلت. . . انك ستتصل بي. . . في تمام العاشرة».

جلس في احد المقاعد المخملية الزرقاء، وقال لها بلهجة تدل على قلة اكتراث:

«غيّرت رأيي وقررت ان احضر لمقابلتك، عوضاً عن الاتصال بك هاتفياً».

تظاهرت بان جوابه لم يهمها اطلاقاً. سيطرت على نفسها وأعصابها الى درجة كبيرة، ثم اشعلت سيجارة بيدين قويتين ثابتتين لم تفضحا ابداً الرعشة التي كانت تهزها في الصميم. وسألته بهدوء:

«هل غيّرت رأيك ايضاً بالنسبة الى الزواج؟».

تأملها بروية من رأسها حتى اخمص قدميها، ثم ركّز نظراته على

صدرها وقال باسماً:

«لا، ابداً. اردت ان اعرف كيف تبدو عروسي الجميلة في الصباح. تعجبني هذه العباءة كثيراً، لأنها مثلك... شفافة ورقيقة، ومثيرة للرغبة بطريقة استفزازية».

حدقت اليه ببرود ثم جلست في مقعد مقابل، وهي تضم العباءة الى جسمها كأنها درع واق يحميها من نظراته القوية الجائعة. ابتسم ثانية ومضى الى القول:

«انه لمن دواعي سروري البالغ ان اكتشف... الآنسة الكاملة... على طبيعتها، دون استعداد او تبرّج. انت في الصباح كأي امرأة عادية اخرى».

نظرت اليزا بسرعة وبطريقة عفوية لا شعورية الى المرآة، فشاهدت وجهاً اصفر اللون يحدق بها بغضب واستياء. لاحظت ايضاً بقعة حمراء على خدها، لأنها كانت تسند وجهها بيدها طوال ساعات الصباح. اما شعرها، فكان بحالة يرثى لها. قالت لنفسها بحنق بالغ:

«اللعنة! لماذا اتى ليشاهدها على هذا النحو المزعج؟».

علت ثغره ابتسامة ساخرة خبيثة زادت من غضبها وانفعالها، مع انها حاولت جاهدة الا تبدو متضايقة او مكترثة الى درجة كبيرة.

«لماذا اتيت، يا ستيوارت؟».

لم تختف الابتسامة المرحة عن وجهه عندما اجابها بهدوء مزعج:

«انا زوج المستقبل، يحق لي ما لا يحق لغيري. واتصوّر ان الذوق السليم يحتم عليك ان تناديني باسمي الأول. يجب ان تعتادي على ذلك من الآن».

اشعل سيجارة ونفث دخانها باتجاه اليزا، ثم تابع قائلاً:

«سنحصل على وثيقة الزواج صباح اليوم. اما الاحتفال بزواجنا



الموفق، فقد اعددت له الترتيبات اللازمة كي يتمّ في الثانية من بعد الظهر. وسوف تتمكن عندئذ من مغادرة هذه المدينة في أيّ طائرة تقلع بعد الساعة الثالثة».

فوجئت اليزا بالسرعة الفائقة التي اعدّ بها كافة الترتيبات الضرورية، ولكنها ادركت دوافعه واهدافه فقالت بمرارة لاذعة:

«يبدو انك متحرق كثيراً لوضع يديك على المبلغ المتفق عليه. اليس كذلك؟».

رفع حاجبيه تحدياً وقال لها ساخراً:

«يمكنك ان تعيدي النظر في قرارك، ايتها العزيزة».

اطفأ سيجارته، ثم وقف وقال لها بلهجة تدل على انه تعب من اللعب على الكلام:

«سألقاك في بهو الفندق خلال نصف ساعة. يمكننا استلام الوثائق الضرورية هناك، ثم نتناول طعام الغداء ونتوجه الى اتمام مراسم الزواج».

توترت اعصابها كثيراً بسبب نبرته الآمرة توافقه تماماً في الوقت الحاضر على انه يجب تسوية الأمور باسرع وقت ممكن. ولكنها لن تدعه يعتقد بانه سيكون الأمر الناهي والزوج المطاع. فهي مثله قادرة على اعطاء الأوامر. قالت له بلهجة حازمة وصارمة:

«حسناً احجز لنا مقعدين على الطائرة المتوجهة الى سان فرانسيسكو بعد ظهر اليوم. سنذهب غداً صباحاً الى المصرف، حيث احوّل لك المبلغ المطلوب، ونتوجه بعدئذ الى اوكلاند لأخذ كريستين».

ابتسم زاكاري ولم يبد عليه ايّ اثر للانزعاج او الانقباض بسبب الاسلوب المتغطرس الذي استخدمته معه. هز رأسه موافقاً، وكرر لها الجزء الاول من جملته السابقة لها:

«سألقاك في البهو خلال نصف ساعة. لا تتأخري!».

وغادر غرفتها دون ان يضيف كلمة اخرى. . . اوحتى ان يلتفت اليها.



## ٢- من لا يريد الآخر؟

تفحصت اليزا بدقة الشعر الاسود الكثيف، والحاجبين اللذين يظهران عينيه كقطعتين من الفحم الحجري المحترق. كان يرتدي قميصا بيضاء وسترة خضراء، ويقود سيارته بشموخ وانفة. هذا هو زوجها، زاكاري ستيوارت

احست بان العمل الذي اقدمت عليه منطقي جداً وعملي للغاية. عاصمة نيفادا هي مدينة الاحلام ومركز الأعمال المثيرة، ولكن خطواتها كانت ذكية ومدروسة. كانت تربح او تخسر وفقاً للارقام التي تختارها، او الاوراق التي تطلبها، او الطريقة التي ترمي بها النرد. اما الان، فالربح والخسارة فيقررهما توقيعها على وثيقة زواج. صحيح انها ستحظى باحتها، ولكنها ماذا ستخسر مقابل ذلك؟

هل يمكنها ان تمحو من ذاكرتها ذلك الشعور الحزين الذي تملّكها، عندما توقفت سيارة الاجرة في اليوم السابق امام مقرّ الزواج؟ هل يمكنها ان تنسى انزعاجها الفائق اثناء المراسم؟ الم تقل لنفسها آنذاك ان القسم والتعهّد اللذين ادلت بهما لا معنى لهما اطلاقاً؟ تذكرت بانقباض شديد السيدة التي وقفت قربها كشاهدة، وقارنتها بنفسها عندما حضرت ثلاث حفلات زواج لأمها العزيزة. تذكرت ايضاً ان صوت زاكاري كان هادئاً وصافياً اثناء المراسم، في حين ان صوتها هي كان خافتاً ومتوتراً... ويظهران السيطرة القوية التي كانت تحاول ممارستها اثناء الكلام. كادت تفقدها وتعود عن قرارها، عندما اضطرت للتعهد بانها ستحترمه وتطيعه. وتألمت عندما تذكرت عينيه وهما تضحكان مرّتين... بمجرد ان وضع الخاتم الذهبي البسيط حول أصبعها، واثناء تبادلهما قبلة الزواج.

لم يتوقف عن مضايقتها... او اذلالها. اصرّ اثناء حجزه مقعدين على الطائرة، وغرفتين منفصلتين في احد فنادق سان فرانسيسكو، على الاشارة اليها كمجرّد زوجته... السيدة ستيوارت. وحتى هذا الصباح، تبيّن لها في المصرف الذي تتعامل معه ان المدير صديق قديم لعائلته. وضعها ثانية في الظلّ... في المؤخرة. فقدت هويتها وشهرتها. لم تعد اليزا فرانكلين! اصبحت زوجة زاكاري ستيوارت! اصرّ طوال الوقت على تأكيد تلك الحقيقة المرّة، فشعرت نحوه بكره واحتقار شديدين!

«هل هذا هو المنزل؟».

اوقف زاكاري السيارة قبل ان تقول له نعم. تأمل المنزل الأبيض المؤلف من طبقتين، ثم نظر الى الحديقة الجميلة المحيطة به وقال:

«انه منزل رائع!».

لم يكن شعور اليزا تجاه هذا المنزل مماثلا لشعور... زوجها. احست بان الابواب المغلقة والستائر المقفلة لا ترحّب بها اطلاقاً. انتظرت بتململ واضح، كي ينزل زكاري ويفتح لها بابها. خرجت



من السيارة بلهفة، فيما كانت عيناها تشعان حباً وحماسة. وقبل ان يصعدا الدرجات الأربع التي تؤدي الى الباب، امسك زاكاري بذارعها تأدباً ومجاملة وقال:

«يبدو واضحاً انك تحبين الفتاة الى درجة كبيرة».

«طبعاً احبها، ولولا ذلك لما كنت اقدمت على مثل هذه الخطوة الغريبة المستهجنة!».

طرقت اليزا الباب بنعومة مصطنعة، ففتحته بعد قليل امرأة متوسطة العمر ذات شعر أسود خطه الشيب بشكل واضح. نظرت اليها السيدة بعينين توحيان بانزعاج بالغ، ثم تظاهرت بالابتسام وقالت:

«اليزا! دهشت جداً عندما اتصلت بي صباح اليوم وقلت انك تزوجت!».

ثم تطلّعت بسرعة نحو زاكاري وسألتها بسخرية واضحة:

«هذا هو زوجك؟».

شعرت اليزا بان صبرها يكاد ينفد، وغضبها على وشك الانفجار. قدمتهما الى بعضهما بلهجة جافة تقريباً، قائلة:

«زاكاري ستيوارت. زوجة خالي، مارغريت دنتون. اين كريستين؟».

فتحت المرأة الباب على مصراعيه وقالت لهما، متجاهلة تماماً سؤال اليزا:

«يجب ان تدخلا وتشربا القهوة. تفضلا!».

جلست مارغريت فور دخولها القاعة وقالت لهما، فيما كانت تسكب القهوة:

«تزوجتما بسرعة فائقة، أليس كذلك؟».

نظر زاكاري نحو اليزا متظاهراً بانه حقاً يحبها، ثم قال للمضيفة بلهجة مرحة:

«تزوجنا بمجرد حصولي على موافقة اليزا. ترددت في اعطائها

فرصة أطول، خوفاً من عودتها عن قرارها».

قدمت فنجان القهوة الى اليزا، وهي تنظر اليها بعينين حاقدتين، ثم سألتها:

«هل قلت انكما تزوجتما أمس؟ اتصوّر انكما تريدان تمضية شهر عسل في مكان ما. سيكون من دواعي سروري وسعادتي ان اعتني بكريستين ان انتما قررتما الذهاب بضعة اسابيع».

«لن يكون ذلك ضرورياً».

تدخل زاكاري على الفور لانقاذ الموقف، فقال لمارغريت برقة ونعومة وهو يوجه اليها ابتسامة ساحرة:

«اننا نشكرك كثيراً على عرضك اللطيف الطيّب، ونشعر نحوك بامتنان كبير. ولكننا مهتمان كثيراً بان تعرف كريستين ان اليزا لم تتركها او تتخل عنها. نريدها ان تتأكد من انها عضو هام جداً في عائلتنا. الا تعتقدين انني على حق؟».

«طبعاً، طبعاً».

كانت شفتاها ترتجفان بقوة وهي تحاول اخفاء غضبها وانفعالها، وفيما راحت تنظر اليها بذهول واضح، سألتها اليزا مرّة اخرى:

«اين هي كريستين؟».

«احست بانقباض شديد هذا الصباح، عندما ابلغتها نبأ زواجك. اعتقد انها تشعر بالاستقرار والراحة هنا، ومن المؤسف جداً انها ستضطر للرحيل».

«اين هي الآن؟».

«في غرفتها. طلبت منها ان تستلقي بعض الوقت لاراحة اعصابها».

سألتها اليزا بلهجة التهديد، فيما كانت عيناها تبرقان غضباً وتململاً:

«هل ستحضرينها انت ام احضرها انا بنفسي؟».

«سأذهب حالا لاحضارها».



هبت واقفة والشرر يتطاير من عينيها، ثم غادرت القاعة بسرعة وقد بلغ بها الغضب اشده. اشعلت اليزا سيجارة بعصبية بالغة، وهي مستاءة من نفسها لأنها افسحت المجال امام خالتها لاغضابها. لا شك في ان مارغريت فهمت اللعبة، والسبب الحقيقي لهذا الزواج السريع. قال زاكاري وكأنه قرأ افكارها:

«ربما تشككت قليلا بالنسبة للهدف من زواجنا، ولكن لا سبب اطلاقاً لأن تتأكد من ذلك. معرفتها بالحقيقة سلاح جديد في يدها».

«اني قادرة تماماً على معالجة امرها. وليس لديها اي سلاح يمكنها استخدامه ضدي».

«بلى، يا عزيزتي. خوفك منها وحبك لكريستين».

نظرت اليه بحدة بالغة، لأنها ادركت مدى صحة تحليله. ارادت ان تقول له شيئاً، ولكنها سمعت صوت خطوات في الممر المؤدي الى القاعة. استدارت اليزا بلهفة نحو الباب الداخلي، وشع وجهها ببريق الحب والعاطفة عندما شاهدت الطفلة الصغيرة قرب خالتها.

«كريستين! حبيبتي!».

تأثرت كثيراً وتألمت... لم تقترب منها الفتاة، بل ظلت واقفة الى جانب مارغريت وهي مطأطأة الرأس وتضع يديها وراء ظهرها. علت وجه السيدة المسنة ابتسامة الانتصار، وقالت بهدوء قاس:

«اعتقد ان كريستين ليست متحمسة جداً لمقابلتك او رؤيتك، يا اليزا».

رفعت الطفلة رأسها بعصبية بالغة، وقالت:

«هذا ليس صحيحاً!».

ثم نظرت بتحدّ الى الخالة قبل ان تقول لاختها:

«يفترض بي ان اقول لك انني اريد البقاء هنا، وانني لست راغبة في الذهاب معك».

انهمرت الدموع من عيني الفتاة الصغيرة ومضت الى القول، بصوت متهدّج عال:

«ولكني اريد الذهاب معك! اريد ذلك حقيقة، ومن صميم قلبي!».

وفي اللحظة التالية، كانت الطفلة تندفع نحو اختها، وتلقي بنفسها بين ذراعيها. نظرت مارغريت بلؤم الى اليزا وعينيها الشاكيتين، وقالت لها بعصبية:

«خذيها! خذيها، فهي بأيّ حال لا تفعل شيئاً سوى مضايقتنا وازعاجنا بتذمرها... ووقاحتها... واهمالها! انها شقيّة مدللة لا تفهم شيئاً! ولكن ماذا يمكننا ان نتوقع من ابنة اليانور؟».

«خذي كريستين الى السيارة، يا اليزا. سأتولى انا معالجة هذا الأمر».

شاهدت اليزا باستغراب بالغ الغضب الحقيقي في عيني زاكاري، فنظرت اليه بامتنان وخرجت بسرعة وهي تحمل اختها الصغيرة. وضعتها في السيارة وجففت دموعها، ثم طمأنتها الى انه لم يعد هناك بعد الآن ما يزعجها او يقضّ مضجعها. ارتاحت الفتاة الصغيرة ووجهت نحو اختها ابتسامة محبة وشكر.

تطلعت اليزا نحو المنزل الأبيض، وهي تحاول التكهّن بما يجري في داخله. تذكرت نظرات زاكاري الغاضبة ولهجته القوية الحازمة، وتمنت لو بامكانها حضور المجابهة بينه وبين مارغريت... تلك الخالة الخبيثة التي تستحق لهجة صارمة.

وتذكرت اليزا ايضاً انها كانت دائماً تعالج مشاكلها بنفسها. كانت امها تبدو دائماً منشغلة عنها بصديق او خطيب أو زوج جديد. واجهت ازمات نفسية متعددة في طفولتها، واثناء فترة المراهقة العصبية والحساسة. لم تشعر ابداً طوال تلك السنوات بأي رابط عائلي او بأي انتماء الى عائلة وبيت. كانت أمها سعيدة جداً مع دايل باترسون، وحاولا معاً ادخال اليزا في دائرة حبها وعطفهما. لكنها بلغت آنئذ سناً جعلها ترفض اهتمام والدتها بها، وبخاصة لان السنوات الطوال التي سبقت ذلك افقدتها ثقتها بالانسان...



وبالروابط العائلية. شعرت بالاشمئزاز عندما ابلغتها والدتها مرة انها حامل... مع انها كانت تجاوزت السابعة والثلاثين.

احبت اليزا المولودة الجديدة حباً كبيراً، لكنها لم تشعر ابداً بأنها جزء من تلك العائلة. كانت تبتعد عنهم ولا تشعر بالارتياح الا عندما تنفرد باختها. حوّلت حبها كله، الذي لم تتمكن سابقاً من منحه لأحد، الى اختها الصغيرة كريستين. تطلعت الى الطفلة التي كانت تجلس الى جانبها بسرور بالغ، ثم نظرت نحو البيت الذي يشهد بالتأكيد معركة حامية بين زاكاري وتلك الخالة التي تكرهها وتحتقرها. كان بريق الامتنان لا يزال يشع من وجهها ومن نظراتها، عندما خرج زاكاري وهو يحمل حقيبة صغيرة في يده. لم تكن بحاجة لان تدعه يهبّ للدفاع عنها. انّبت نفسها على ذلك، لأنها كانت قادرة على حلّ مشاكلها مع مارغريت. واحست اليزا بأنها لن تنسى ابداً تصرّفه الطيب والشجاع، مع انها تضايقت حتى الازدراء والكره من غطرسته الساخرة واللاذعة.

جلس وراء المقود، وكان الغضب لا يزال بادياً على وجهه. ارتجف جسمها خوفاً ورهبة، عندما تصوّرته يصبّ جام غضبه عليها. لا شك انه قادر تماماً على تحطيم منافسيه وخصومه. انه قاس لا يرحم، كما قال لها مايكل. ادار محرك السيارة وقال:

«جمعت بضعة اشياء لكريستين، اما بقية اغراضها فسوف يتم ارسالها الى بيتنا».

توترت اعصاب اليزا عندما سمعت تلك النبرة القوية المتسلطة، التي توحي صراحة بانه اصبح يعتبر نفسه المسؤول الاول والاخير عن الاختين. انتبه لذلك ولكنه لم يقل شيئاً، او يعلق حتى بكلمة واحدة. نظرت اليه كريستين بتحدّ، فيما كان ذقنها يرتجف ويرتعش، وقالت له بلهجة صارمة وقوية:

«قالت لي انك لا تحب الفتيات الصغيرات. قالت لي أيضاً انك لا تريدني معكما، وانك ستعيدني الى هنا اذا ارتكبت ايّ خطأ على

الاطلاق».

نظر زاكاري الى اليزا بعينين تقدحان ناراً، فابتسمت وقالت له ببرود يحمل بعض الاشمئزاز:

«انها تعني مارغريت».

رد على نظرات الازدراء بابتسامة مرحة وقال للطفلة:

«خالتك مخطئة، يا كريستين. انا احب الفتيات الصغيرات كثيراً، وبخاصة عندما يكبرن ويصبحن جميلات مثل اختك. وأنا متأكد من ان اليزا ستبذل اقصى جهودها لضمان عدم عودتك الى الخالة مارغريت، بغض النظر عما ستفعلين او مهما كنت شقية ومزعجة».

ثم حوّل نظرات متغطرسة هازئة الى اليزا، وراح يتأمل وجهها الجميل وعنقها الناعم . . . وسترتها البنية النافرة. لم يقل شيئاً، ولكن ملامح وجهه اوحت بانه مرتاح وراض. القى نظرة اخيرة على ذلك المنزل الأبيض، وقاد السيارة الى الطريق العامة بتمهّل وهدوء.

لكن كريستين اصرّت على معرفة الحقيقة كاملة، لأنها كانت بحاجة ماسة لازالة مخاوفها بصورة نهائية. قالت له بحذر:

«اخبرتني خالتي بانك تريد اليزا لنفسك طوال الوقت، وانك لا تريدني ان ابقى معكما او قربكما فترات طويلة».

ظل متطلعاً امامه، ولكنه اجابها بلهجة حنونة لم تتسم بجدية تامة:

«سأخبرك ماذا سنفعل يا عزيزتي. انا اعمل طوال النهار فما من احد سيلهي اليزا عنك دقيقة واحدة. وعندما اعود من العمل، نجلس ثلاثتنا معاً حتى يحين موعد نومك. وعند ذلك فقط، تخصص اليزا وقتها الكامل لي. ما رأيك بهذا التدبير؟».

«عظيم، ولكن . . . .».

ترددت الفتاة قليلاً، فنظر اليها زاكاري مستفسراً. تنهدت وقالت:



«كان أبي أيضاً يذهب الى عمله، ولكننا كنا نقوم معاً باشياء متعددة، كنا نمضي اوقاتاً ممتعة خارج البيت».

ابتسم زاكاري وقال لها:

«ونحن ايضاً، يا عزيزتي، يمكننا ان نمضي اوقاتاً سعيدة وممتعة. أليس كذلك يا اليزا؟».

كانت تتأجج غضباً وحنقاً. ماتت بذور الرقة والنعومة التي زرعتها في قلبها قبل قليل، تجاه هذا الرجل الأسمر القوي الذي اصبح زوجها قبل ساعات معدودة. ماتت تلك البذور الضعيفة تحت وطأة الجليد القاسي الذي يغطي مشاعرها. احست من كلماته الرقيقة والجميلة لاختها الصغيرة بأنها تعتمد عليه . . . وبانها تحتاج اليه من أجل الفتاة. هذه هي الحقيقة المرة، مهما حاولت اقناع نفسها بعكس ذلك. يجب ان يرضخ لها ويتصرّف وفقاً لما ترتأيه وتشتهيه، لأنها اشترته بمالها! ولكن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن!

«الن نمضي معاً وقتاً ممتعاً، يا اليزا؟».

نظرت اليزا الى اختها وارغمت نفسها على الابتسام، ثم قالت:

«سيكون زاكاري منهمكاً جداً في عمله لذا يجب الا نتوقع منه ان يمضي معنا وقتاً طويلاً. اتصوّر انه لن يتمكن إلا من تمضية وقت قصير جداً. ولكني متأكدة انك ستفرحين كثيراً خلال الفترات القصيرة التي سيسمح له وقته بتمضيتها معنا».

ضحك زاكاري بطريقة اثارت غضب اليزا، وقال:

«اننا الآن في بداية فصل الصيف، يا عزيزتي. لن نضطر للعمل بجد ونشاط قبل اواخره، وهذا يعني انه ستتاح لنا مجالات عديدة للتمتع باوقات فراغنا».

صفقت كريستين بفرح ظاهر، حرم اليزا من المضي في معركتها مع الزوج الخبيث. انها تحبها كثيراً وتريد اسعادها، وكانت تعلم منذ البداية ان ذلك لن يتحقق الا على حساب أمور أخرى هامة بالنسبة اليها. تطلعت الصغيرة حولها وعيناها البنّيتان العسليتان لا تزالان

تشعان فرحاً وسروراً، ثم سألت بلهفة:
«الى أين نذهب الآن؟».
«الى بيتنا في وادي نابا».
لم تكتف بالاجابة المقتضبة، فعادت تسأله ثانية:
«واين تقع هذه المنطقة؟».
ابتسم بحنان وقال لها، وهو يضع ذراعيه على كتفيها:
«على بعد ساعة ونصف بالسيارة عن سان فرانسيسكو».
بدا الارتياح على وجه كريستين، فوضعت يدها على ذراع اليزا... واسندت رأسها الى خاصرة زاكاري... واغمضت عينيها الجميلتين.
دخلت السيارة بين عامودين من القرميد الاحمر يعلوهما قوس حديدي حفرت عليه باحرف كبيرة كلمتان... «بساتين ستيوارت». كانت اشجار السنديان تحيط بجانبي الممرّ الضيق، الذي يؤدي الى البساتين... والى بيتها الزوجي.
ذهلت اليزا عندما شاهدت تلك المساحات الشاسعة والبساتين الضخمة والمعمل الكبير. كانت تتوقع معملا صغيراً ومنزلا متواضعاً جداً تقزّمه مباني المعمل. كان المنزل جميلا والحديقة رائعة، والى الجهة الجنوبية شرفة صغيرة جذابة. اوقف زاكاري محرّك السيارة ونزل ليفتح باب اليزا. ابتسم بشيء من الاستهزاء، عندما شاهد استغرابها وذهولها اللذين اخفيا غضبها. هذا ليس منزل رجل فقير! اخذ يدها ليساعدها على النزول، ثم قال لها بلهجة عادية جدا:
«ثمة مشاكل قليلة جداً بالنسبة لانابيب المياه، ولكني اعتقد بان كل شيء آخر سيرضيك... يا سيدة ستيوارت».
حاولت ان تحدّ قليلا من اعجابها وقالت:
«انه جميل جداً... وبعيد كل البعد عما جعلتني اتصوره!».
«ولكنك لم تطلبي مني ان اؤكد او انفي معلوماتك. انا لست بحاجة للمال الا لتطوير المعمل وتزويده بمعدات حديثة».



تنفست اليزا الصعداء بصمت: كانت تنتظر منه خبراً مثيراً ينزل عليها كالصاعقة. استدارت نحو كريستين، التي كانت تركض نحو الباب تناديها للحاق بها. كانت الطفلة متشوقة جداً لمشاهدة بيتها الجديد، وتقفز بفرح وسعادة امام بابه الأبيض الكبير. ابتسم زاكاري بخبث وهو يأخذ ذراع اليزا ويتوجه بها نحو الباب. صرخت كريستين بصوت عال:
«اريد ان اراك تحمل عروسك الى الداخل!».
قطبت اليزا حاجبيها وقالت لها:
«انه تقليد قديم سخيف. وانت تعرفين، يا كريستين، انني لا اؤمن بمثل هذه الأمور!».
ضحك زاكاري وغمز الصغيرة مشيراً اليها كي تفتح الباب، ثم رفع اليزا بسرعة بين ذراعيه وهو يقول:
«ولكن زوجك يحب هذه التقاليد ويريد المحافظة عليها».
وضعت يديها على صدره العريض وضغطت بقوة، في محاولة لابعاده عنها، وهمست بحدة:
«انزلني! انزلني!».
لم يعبأ كثيراً باحتجاجها، وقال لها بمرح ظاهر:
«لماذا لا ترتاحي وتتمتعي بوضعك الحالي؟».
اجابته بصوت منخفض لئلا تسمعها اختها، ولكن نبرتها كانت توحي باشمئزازها من لمساته. قالت له بعصبية:
«اني لا اجد أي راحة أو متعة بين ذراعي رجل».
ضمها بقوة اليه وهمس في اذنها قائلا:
«يمكنني ان اعلّمك الكثير، ايتها العزيزة».
صرخت بها كريستين من الداخل، وهي تضحك بحياء الطفولة:
«الا تريدان دخول البيت؟».
تجاهل زاكاري تشنج اليزا ومحاولاتها اليائسة للابتعاد عن جسمه

قدر امكانها، وحملها الى القاعة الرئيسية. لم ينزلها الى الارض، ولم يحاول بالتالي اخفاء ابتسامته الساخرة اللعينة. انه يهزأ بملامح الازدراء التي كانت تضج في وجهها وعينيها! وفجأة سمعوا صوت اقدام تقترب من الغرفة المجاورة. انزلها عن بين ذراعيه عندما دخلت سيدة مسنة تلك القاعة الجميلة. اقتربت السيدة قليلاً، فهرعت كريستين الى جانب اليزا وامسكت بيدها. كان زاكاري يطوّق خصر زوجته بذراعه، وشعرت اليزا بان عليها تحمّل هذا العذاب لبضع دقائق. اخذت السيدة يد زاكاري بيديها وهي تقول بلهفة وحنان:

«زاكاري! حبيبي!».

ثم نظرت الى اليزا وكريستين بشيء من الاستغراب، واضافت قائلة له:

«كنا نتوقع عودتك بعد يومين».

قبّل خدها بمحبة وقال لها مداعباً:

«انت تعلمين انه لا يمكنني الابتعاد اكثر من اسبوع واحد عن ثاني اقرب امرأة الى قلبي».

نظرت الى اليزا بسرعة بمجرّد سماعها ذلك التعبير المتعلّق بالقرب والافضلية. تأملت بدقة تلك البرودة في نظرات اليزا، والتسريحة لشعرها الاشقر الناعم، والكمال المذهل في جمالها. قال لها زاكاري بلهجة صادقة خلت من سخريته اللاذعة المعتادة:

«نورا اعرّفك بزوجتي... السيدة اليزا فرانكلين ستيوارت، اختها... كريستين باترسون».

ثم شدّ على خصر اليزا برفق وحنان، وقال:

«اليزا، كريستين، اعرفكما بمدبرة المنزل الطيبة... نورا كاستيلو».

نظرت كل من اليزا ونورا الى بعضهما باستغراب بالغ. كان استغراب نورا نابعاً من اعلان زاكاري المفاجىء عن زواجه، في حين كان استغراب اليزا ناجماً عن ترحيب زاكاري الحارّ والعاطفي...



بخادمته. حتى امها الرومنطيقية الافكار لم تكن لتفعل ذلك مع خادمتها. لم تتضايق اليزا كثيراً من الطريقة التي تفحصتها بها نورا، بعد ان علمت انها السيدة زاكاري ستيوارت. تبادلتا التحية ببرودة وجفاف، واوحت كل منهما للأخرى بانها لا تحبها او توافق على وجودها في هذا البيت. قطع زاكاري الصمت المخيّم على القاعة، قائلاً:

«نريد وجبة خفيفة، يا نورا. يمكننا ان نتناولها على الشرفة خلال ساعة من الآن. انا متأكد من ان اليزا قد ترغب في الاستحمام، كما ان كريستين بحاجة الى ذلك. سأذهب خلال هذا الوقت لمقابلة جورج. خذي السيدة ستيوارت الى الغرفة الشرقية».

«الغرفة الشرقية؟».

رددت هاتين الكلمتين بدهشة بالغة، وهي تنظر الى اليزا كأنها انسانة ارتكبت خطأ جسيماً. حسم زاكاري الموقف بسرعة وحزم، قائلاً لنورا بلهجة لا تقبل الاعتراض:

«نعم، الى الغرفة الشرقية».

ثم نظر الى اليزا وسألها بهدوء:

«هل تحتاجين الى اي شيء من السيارة؟».

هزت رأسها نفياً، فقال لها انه سيحضر الحقائب في وقت لاحق. ثم ترك خصرها ورفع يده لمداعبة وجهها برقة ونعومة، قبل ان يغادر الغرفة على عجل. ارغمت اليزا نفسها على عدم اظهار اي ازدراء من لمسة يده، وشعرت انه احس بذلك. هزت كريستين يدها بتململ وسألتها:

«اين سأنام انا؟».

حدقت اليزا بعيني نورا المتضايقتين، وسألتها بهدوء مزعج:

«هل ثمة غرفة قرب... الغرفة الشرقية؟».

«نعم، فالغرفة الخضراء تقع ايضاً في نهاية الممر. اتبعيني من فضلك!».

كانت الارض والجدران والنوافذ توحي بالثراء والأناقة والذوق السليم. صعدت اليزا الدرج الداخلي المبني من حجارة المرمر المصقولة اللماعة. ولما وصلت الى قمته، شاهدت سجادة ذهبية اللون تغطي الممرّ الطويل الذي يتفرّع في نهايته الى ممرين صغيرين. قادتها نورا الى اليمين ثم وقفت امام أول باب على يسارها وقالت:

«هذه هي الغرفة الخضراء».

فتحت الباب، فدخلت اليزا وكريستين الى غرفة جميلة ذات جدران خضراء. تخلت الطفلة عن خجلها وقالت بلهفة وحماس، وهي تشير بيدها الى السرير:

«انه سرير يليق بالأميرات! هل هذه فعلا غرفتي؟».

هزت اليزا رأسها وكادت الدموع تطفر من عينيها بسبب سرور اختها وسعادتها. سارت نورا نحو باب داخلي وقالت:

«هذا هو باب الحمام المشترك بين غرفتيكما، يا سيدة ستيوارت».

اختفت ابتسامة اليزا لدى سماعها صوت مدبرة المنزل، وامرتها ببرودة ان تريها غرفتها. دهشت ثانية، عندما شاهدت روعة غرفتها وجمالها. اعجبها الأثاث الأنيق... وكل شيء آخر.

«الغرفة المجاورة هي غرفة النوم الرئيسية التي يستخدمها زاكاري».

سألتها اليزا بسرعة:

«هل يوجد باب بين الغرفتين؟».

نظرت اليها نورا بشيء من التحدي وقالت:

«لا. هل تودين مشاهدة غرفة النوم الرئيسية؟».

«لا، لا أريد ذلك اعتقد انني لم اعد بحاجة اليك. يمكنك ان تذهبي الى عملك».

ارادت ان تكون قاسية معها، لأنها تضايقت منها... ومن تصرفها كأحد افراد البيت. دخلت كريستين فجأة من باب الحمام المشترك، وتأملت غرفة اختها بسرعة ثم قالت:



«أليست غرفة رائعة حقاً؟ انها جميلة جداً، مثل غرفتي! اوه، هل يمكنني القيام بجولة استكشافية؟ غسلت وجهي وعنقي ويدي، ولم يعد لديّ ايّ شيء آخر افعله».

ابتسمت اليزا بمحبة وحنان، وضمت اختها بقوة الى صدرها. آه، كم تحبها! ترقرقت من عينيها دموع السعادة والفرح، وسمحت لها بالتجوّل في ارجاء البيت... بعد ان ذكّرتها بموعد الغداء، وحذّرتها من مغادرة المنزل. ولما خيّم الصمت مرة أخرى على تلك الغرفة، جلست اليزا في مقعد وثير امام المرآة ومدت يدها الى شعرها. بدت لها الشابة التي تراها امامها... انسانة غريبة ذات عينين صافيتين غير مرهقتين او معذبتين او قلقتين. تطلعت اليزا مرات عدة الى المرآة. ومع انها لم تشاهد في أيّ مرة سوى فتاة جذابة جميلة تنظر اليها بارتياح وسرور، الا انها كانت دائماً تشعر بدهشة واستغراب. تريد ان ترى شخصاً متحرراً وسعيداً، مثل كريستين، يضجّ حباً وحياة. ولكن العينين الباردتين ذاتهما كانتا تحدقان بها دائماً، وتذكرانها بالخطوة التي اقدمت عليها... وبالهدف من وراء ذلك القرار العجيب.

قالت لنفسها ان الحياة ليست مجرد فرح وسعادة، كما تقول القصص الخيالية. كذبت الروايات لأن مؤلفيها ارادوا للانسان ان يتعلق بالأمل... والخيال. لا... حبها لكريستين هو الشيء الوحيد المضمون الذي يمكنها التعلق به، والشيء الوحيد الذي تثق به. وقفت بسرعة ورمت سترتها على السرير ثم سارت نحو النافذة. لا شك في ان نورا هي شخص يعتقد بديمومة الزواج وتقاليده القديمة، وبأن الزوجة يجب ان تكون مطيعة لزوجها... وان تتصرف معه كحبيبة، وام لأولاده، وخادمة للعائلة.

«هل تعجبك الغرفة؟».

استدارت نحو مصدر الصوت، فشاهدت زاكاري يقف في الباب ومعه حقيبتها. اخفت دهشتها بسرعة وردت عليه بلهجة عادية:

«انها غرفة جميلة جداً، لا يمكن لأحد الاّ ان يعجب بها».
«انت! كان عليّ ان اعرف ان ثمة اشياء لن تعجبك في بيتي».
تأملها من قمة رأسها حتى اخمص قدميها، وكانت لهجته تحمل بعض السخرية. ردت عليه بخبث مماثل دون اي غضب او انفعال ظاهرين:
«لن اعيش هنا الا سنة واحدة، وعليه فلن تكون هناك اي ضرورة لاجراء اي تعديلات او تغييرات. انها فترة قصيرة، ويمكنني ان اتحمّل خلالها ايّ شيء هنا».
«ونورا؟ ما هو رأيك بها؟».
كان سؤاله جدياً، فنظرت اليه بجدية مماثلة ولكنها لم تجبه. ماذا يمكنها ان تقول له وهي تعرف مدى العلاقة القائمة بينهما؟ بدا انه يتأجج غضباً، ولكنه قال لها بصوت هادىء كاد ان يتحوّل الى استهزاء:
«ماذا تقترحين؟ هل اصرفها... خلال هذه الفترة القصيرة؟».
«اعتقد انه اقتراح ممتاز، ولكنه متطرّف وقاس. الافضل ان تتحدث معها وتجعلها تعلم انها ليست الا خادمة في هذا البيت».
نظر اليها بعينين قاسيتين تقدحان شرراً وقال:
«انت متغطرسة ومتعجرفة، وغبية ايضاً. اذا كان ثمة شخص يجب ان يذهب، فهو انت... يا سيدة ستيوارت».
ضحك بمرح واحتقار عندما شاهد خيبة الأمل القوية في ملامحها، اضاف قائلاً بخبث مرير:
«ولكنك لست قادرة على الذهاب، اليس كذلك؟ اذا ذهبت، لن تتمكني من الاحتفاظ بكريستين! اليست هذه وصية والدتك، يتها الزوجة العزيزة؟».
«انت شخص جلف وفظ ومتسلّط لا يمكن تحمله، يا سيد ستيوارت!».
رفضت اليزا اظهار الغضب الذي كان يمزّق احشاءها، لان في



ذلك دليلا على ضعفها... وهذا امر لن تسمح بحدوثه. سيطرت على اعصابها، ومضت الى القول بصوت ثابت وقوي:
«اعتقد انني جعلتك تشعر بعدم الاطمئنان. فمع انك طلبت مبلغاً كبيراً للزواج مني، الا ان قدرتي على الدفع اغاظتك وازعجتك كثيراً. انت تشعر الآن بان عليك ارضاء غرورك بممارسة الابتزاز، كي تحقق التسلط والهيمنة».
ثم ابتسمت بسخرية لاذعة، واضافت قائلة:
«لن تنجح في ذلك، يا زوجي العزيز. لن تنجح لأن لديّ ما أريد، ولن تتمكن من حملي على التخلي عنه».
لم يبد اي انفعال في ملامحه القوية عكس ما كانت تتوقعه اليزا. كان يتأملها بمرح ظاهر وكأنه سمع نكتة او طرفة، بدلا من الكلام القاسي الذي وجّهته اليه. اشعل سيجارة وقال لها باسماً:
«معك حق... فأنا انوي حملك على التخلي عن شيء ما. ولكني لا أعتقد اننا نتحدث عن الشيء ذاته».
ردت عليه بلهجة حادة وقاسية:
«لا بأس. المهمّ انني غير راغبة ابداً في اطالة حديث الاسرار والالغاز معك، يا سيد ستيوارت. قلت ان الغداء سيكون جاهزاً خلال ساعة، فلنذهب الآن».
سألها زاكاري، فيما كانت تمرّ قربه متجهة نحو الباب:
«هل هذه دعوة ام أمر؟».
وقفت لحظة وادارت وجهها نحوه ببرودة، قائلة بتهكم:
«اعتبرها كما تشاء».
«انا لا اتلقى اي أوامر من احد، وبخاصة من زوجتي».
ابتسم بهدوء عندما نظرت اليه بعصبية، وقالت له بسخرية قاسية:
«يا للطرافة! الا يمكنك ان تبدأ في التدرّب على ذلك منذ الآن؟».
نظر الى عينيها المشتعلتين غضباً وقال لها بتحد واضح:

«اذا كان هناك من تدرّب او تعلّم على امور معينة، فانت التي ستفعلين ذلك. . . وانا ساكون المدرّب».

ارعبتها نظراته القوية ولهجته القاسية، وخافت من مغبة الاستمرار في محاولات تحديه واثارة اعصابه. تذكّرت رغماً عنها جملة مايكل عن قساوة زاكاري وعنفه. ولكن زاكاري لم يتعرف من قبل على شابة قوية مثلها. رفعت رأسها بشموخ وعنفوان، وقالت:

«بصراحة، لا يمكنك ان تعلمني شيئاً. اضف الى ذلك، انه لا يهمني اذا تناولت الغداء معي ام لا. انا لست متحمسة او متشوقة للجلوس معك الى طاولة واحدة، بامكانك اذا شئت، ان تزحف عائداً الى حيثما كنت».

سارت نحو الممرّ دون ان تلتفت اليه، ولكنها شعرت انه اصبح وراءها عندما قال لها متهكماً:

«انك حقاً تريدينني ان اتبخّر في الهواء واختفي بصورة نهائية. ولكني احذرك من القيام بأي محاولة لتجاهل وجودي هنا. كما اني لن اسمح لك ابداً بان تدوسي عليّ».

ابتسمت له بخبث فائق وقالت:

«اذن، ساحاول الالتفاف من حولك. . . يا سيد ستيوارت».

امسك بذراعها وضغط عليه بقوة، وهو يقول لها بلهجة الواثق من نفسه:

«حتى الالتفاف لن يكون سهلاً، ايتها العزيزة!».

شعرت اليزا، اثناء الغداء ان كريستين لم تعد تشعر باي رهبة او حياء تجاه بيتها الجديد. كانت تتحدث طوال الوقت، وبحرّية تامة، غير عابئة بصمت اختها. وكان زاكاري يردّ على كافة اسئلتها باهتمام ظاهر، شارحاً لها بالتفصيل وبدون تردد كل المعلومات التي كانت تطلبها. لم ينظر مرّة واحدة الى اليزا، ولم يوجّه اليها ايّ كلمة على الاطلاق. بدا وكأنه يتوقع منها ان تظلّ صامتة. كان موقفه تجاهها يوحي بانه يشجعها على الصمت، وعلى عزل نفسها عن



الآخرين. . . فصمتها وعزلتها لا يؤذيانه البتة.

عندما تناولوا الحلوى والفاكهة، كان غضبها بلغ اشدّه. توقعت الا يحاول حملها على المشاركة في الحديث، ولكنها انتظرت منه على الأقل ملاحظة قاسية او خبيثة بشان صمتها المتواصل. لم يفعل ذلك، بل اعتذر لكريستين وحدها عن اضطراره لمغادرة البيت الى مكتبه في المعمل. هرع كلب الحراسة القويّ المدرّب الى جانب سيده، وتبعه بين الاشجار الى المعمل الذي يقع على قمة تلة مرتفعة.

تضايقت اليزا من كلمات الاعجاب الصادقة التي قالتها كريستين عن الكلب ماكس. كان واضحاً ان فترة ما قبل الظهر سمحت للفتاة الصغيرة بمصادقة الكلب، وجعلتها تتعلق به. خرجت اليزا عن صمتها المطبق، عندما طلبت من اختها ان ترافقها الى غرفتيهما لافراغ حقيبتيهما والتجوّل في ارجاء البيت وحوله.

ولأن معظم ثيابهما واغراضهما لم تأت بعد، فقد انهتا عملهما خلال فترة وجيزة جداً. اصرّت كريستين فور ذلك على ان تقوم بدور الدليل، فاخذت بيد اختها وراحتا تتفرجان على غرف البيت وقاعاته. قالت لها كريستين ان الغرف الموجودة في نهاية الممرّ هي للضيوف، ثم سبقتها على الدرج وفتحت الباب المزدوج مشيرة باعتزاز الى قاعة الاستقبال الرسمية. تأملت اليزا باعجاب الاثاث التقليدي المريح في تلك الغرفة الفسيحة، التي طليت جدرانها باللون البني الفاتح. انتقلت الاختان بعد ذلك الى قاعة الطعام، حيث لم تسمح كريستين لاختها الا ببضع لحظات وجيزة قبل ان تفتح باباً مزدوجاً آخر وتقول بسرور:

«هذه هي غرفتي المفضلة!».

اخذت الطفلة الصغيرة ترقص بفرح ظاهر حول الكنبة الوثيرة الجميلة وقرب الطاولة الصغيرة البيضاء. ثم جلست في مقعد هزّاز في احدى الزوايا، وقالت:

«اخبرتني نورا ان هذه الغرفة تسمى قاعة الصباح. هل تعرفين

لماذا سُمّيت هكذا؟!».

هزت اليزا رأسها نفياً، فمضت الصغيرة الى القول:

«لأنها المكان الذي نتناول فيه فطور الصباح. قالت نورا ان ما من احد يحب الذهاب الى قاعة الطعام الرئيسية لأنها انيقة ورسمية، ولان الانسان لا يشعر بانه انيق ورسمي في الصباح!».

شعرت اليزا بان نورا على حق، فالغرفة جميلة ومريحة ومشرقة للغاية. انها فعلا المكان المناسب للأشخاص الذين لم يستيقظوا بعد تماماً.

«وهذا هو باب المطبخ. ولكن نورا قالت ان الطاهية لا تحب دخول الناس الى مطبخها وخروجهم منه كأنه ساحة عامة».

عادت الاختان الى الممر، ووقفت كريستين امام باب مزدوج مقابل قاعة الجلوس ثم قالت ضاحكة:

«هذه هي غرفة الاسد».

«غرفة الاسد؟».

ظهرت في عينيها فجأة ملامح حزن، وقالت:

«هكذا كنا نسميها انا وامي. كان ابي يصفها بانها العرين المنزلي الذي يختلي فيه. ولأنه كان يزأر عندما يزعجه احد، فقد قررنا ان نسميها... غرفة الاسد. قالت لي نورا ان هذه الغرفة هي مكتب زاكاري الخاص، وانه يفترض بي الا ادخلها».

«نعم، لأنه من المحتمل جداً ان يصدر عن زاكاري ايضاً زئير هادر اذا ازعجه احد».

اخفت اليزا ابتسامتها بسرعة وقالت لاختها بجدية:

«وبالمناسبة، يجب الا تتحدثي مع مديرة المنزل او عنها باسمها الاول. يجب ان تقولي السيدة كاستيلو».

هزت الفتاة الصغيرة كتفيها وقالت:

«طلبت منها ان تستخدم معي اسم كريستين، فقالت لي ان بامكاني مناداتها باسمها الاول نورا. وبما ان زاكاري يناديها ايضاً على



هذا النحو، فلا بأس اطلاقاً من ان افعل مثله».

اصرّت اليزا على تعليم اختها بعض الأصول والتقاليد، وخاصة لأنها احست بالغضب عندما اشارت كريستين الى زاكاري كأنه هو السلطة العليا في البيت.

«صحيح انه يناديها باسمها الاول، ولكن الفتاة الصغيرة المهذبة يجب ان تنادي الاشخاص الراشدين باسماء عائلاتهم مع استخدام كلمة سيد او سيدة. انه دليل على التأدب والاحترام».

اتسعت العينان العسليتان ببراءة واستغراب ظاهرين، وقالت الفتاة لاختها:

«ولكنني ساكون مضطرة لمناداتك... سيدة ستيوارت».

«الوضع مختلف بالنسبة اليّ، فانا اختك. انا فرد من افراد عائلتك».

ردت عليها كريستين بعناد:

«وكذلك نورا. قالت لي ذلك بنفسها، وكذلك فعل زاكاري».

شعرت اليزا بان الجدل مع كريستين لن يكون مفيداً، ما لم تسنح لها فرصة للتحدث مع زاكاري ووضع الأمور في نصابها. قالت لها بهدوء:

«سنبحث هذا الأمر في وقت لاحق. علينا ان نعود الآن لاستبدال ثيابنا، اذا كنا نريد القيام بجولة خارج المنزل».

راح الشعر الأسمر المحمّر يتطاير في الهواء، فيما كانت كريستين تقفز بمرح فوق الحبل الذي كانت اليزا تدوره بسرعة كبيرة. توقفت الفتاة بعد فترة طويلة والقت بنفسها على المقعد المجاور لأختها. التقطت بعض انفاسها وسألت اليزا بحماسة منقطعة النظير:

«كم مرة قفزت؟».

ابتسمت اليزا وهي تنظر الى اختها بمحبة وحنان، وقالت:

«اكثر من ستين مرة».

صححت لها الرقم بسرعة وحدة، قائلة:

«خطأ! لم اقفز سوى تسع واربعين مرة».
ارادت اليزا ان تغيظها قليلا، فسألتها بهدوء:
«وكيف عرفت ذلك؟».
«لأنني عددتها بنفسي».
«لماذا طلبت مني اذن ان احصي لك عدد المرّات، مع انك لم تكوني بحاجة اليّ؟».
ابتسمت كريستين وقالت بهدوء:
«طلبت منك ذلك كي اتأكد انك ستراقبينني».
اختفت ملامح التحفظ والجدية التي تطبع عادة وجه اليزا الجميل، وحلّت محلها ملامح الحب والعطف والحنان. قالت لاختها الجالسة امامها:
«ايتها البطة الغبية، اني اراقبك دائماً وباستمرار».
«لماذا لا تذهب الآن الى هذه المباني الواقعة على قمة التلة وترى ماذا يفعل زاكاري هناك؟».
تضايقت اليزا من طلب اختها الذي كررته مرّات عديدة طوال فترة ما بعد الظهر. فآخر شيء تريده في هذه المرحلة هو اظهار ايّ اهتمام بزاكاري او باعماله.
«قلت لك اكثر من مرّة اننا لن نذهب الى المعمل».
«سنتناول طعام العشاء في السابعة. الا تعتقدين ان علينا ابلاغه بذلك؟».
«انا متأكدة انه يعرف موعد العشاء وليس بحاجة لمن يذكّره به».
وقفت الفتاة الصغيرة وقالت لأختها بعنفوان وتحدّ:
«انا ذاهبة اليه. اذا اردت مرافقتي، فأهلاً وسهلاً... والا فاني ذاهبة بمفردي».
«كريستين، لا تكوني صعبة!».
هزت الطفلة كتفيها وقالت:
«انا لست صعبة. انت التي تصعّبين الأمور!».



ردت عليها اليزا بحدة:
«هذا تصرّف وقح! قلت لك انك لن تذهبي الى التلة. اذا كنت مهتمة الى هذه الدرجة برؤية زاكاري، فبامكانك ان تسيري الى تلك الشجرة الكبيرة وتنتظريه هناك. ولكنك لن تذهبي الى المعمل، وهذا قرار نهائي!».
سارت كريستين بعصبية بالغة نحو الشجرة البعيدة، فيما تنهدت اليزا باستغراب شديد. يبدو ان والدتها دلّلت اختها الى درجة لم تعد معها الصغيرة لتقبل الأوامر المعطاة اليها الا بانزعاج بالغ. حمّلت اليزا نفسها مسؤولية مماثلة، لأنها لم ترفض لأختها ابداً ايّ طلب او تحرمها من تحقيق اي رغبة. ربما حان الوقت كي تفهم اختها بانها لم تعد قادرة ان تحصل على اي شيء تريده، او تنفيذ كلّ مطالبها ورغباتها.
وقفت ببطء ومشت مسافة قصيرة، قبل ان تسمع صوت عجلات سيارة تدخل باحة المنزل. توقفت السيارة امام المدخل الرئيسي ونزل سائقها منها، ثم راح يحدّق باليزا الواقفة على الشرفة. رفضت قدماه اطاعة اوامر عقله، القاضية بعدم التحرّك قبل سماع اي دعوة او كلمة ترحيب. سار نحوها بهدوء وهو يردد اسمها. نظرت اليه بذهول، فيما كانت عيناه تتأملان وجهها وشعرها. مدّ اصابعه الطويلة الرفيعة وامسك بيديها. تسمّرت في مكانها وهي تنظر الى بول اندروز الشخص الذي تحدثت عنه الى زاكاري بكثير من الاستخفاف والاستهزاء. لم تحاول حتى ان تسحب يديها من بين يديه. نظر اليها بوله واعجاب واضحين، وقال:
«ظننت انني ارى شبحاً. لم اصدق عيني عندما شاهدتك على هذه الشرفة. ماذا تفعلين هنا؟».
فتحت فمها لتشرح له ما حدث، لكنه اسكتها بهزة من رأسه وقال:
«لا سبب لأن تقولي شيئاً، أظن انني اعرف... زاكاري احضرك

الى هنا».

حاولت مرة اخرى ان توضح له حقيقة ما جرى، الاّ انه ضحك بسرور ومضى يقول:

«لم اعرف صديقاً مثله من قبل، يا اليزا. لا يمكنك ان تصدّقي الامور التي قام بها نحوي. عندما قلت لي انك لا تريدين رؤيتي مرة اخرى، شعرت بأنني تحطمت. كرهت العالم كله! ولكن زاكاري كان هناك. كعادته، ليساعدني ويعيد اليّ ثقتي بنفسي. علم بالتأكيد انني لا ازال احبك. هذا هو الامر، اليس كذلك؟ احضرك الى هنا كي تكوني معي؟».

«بول، توقف!».

شعرت بالشفقة عليه وبالخجل منه. . . هذا الرجل الوسيم الذي لم يثر في نفسها قبلا الا الازدراء وعدم الاكتراث.

«كيف يمكنني ان اتوقف، وانا بمثل هذه السعادة!».

حاول ضمها اليه، ولكنها ابعدته عنها وهي تصرخ قائلة:

«انك لا تفهم! ليس الامر كما تتصوره اطلاقاً!».

جمد بول في مكانه، عندما سمع صوتها الحاد وشاهد نظرات الألم في عينيها. عقد جبينه وسألها بقلق:

«ماذا تعنين؟».

استعادت شيئاً من الهدوء وقالت:

«لم اعرف انك كنت قادماً الى هنا».

ضحك بول وقال:

«اراد اللعين ان يفاجئنا معاً، اليس كذلك؟».

ثم تأملها ملياً واضاف قائلا:

«انك اجمل بكثير مما اتذكرك».

قالت له بهدوء، وهي تحاول ابعاد نفسها عنه:

«لا اعتقد، يا بول، ان زاكاري هو صديقك الى الدرجة التي تتخيلها».



«يا له من اسلوب رائع تستخدمه زوجتي بمجرد ان ادير لها ظهري لأول مرة!».

استدار بول واليزا بسرعة عندما سمعا كلمات زاكاري الضاحكة التي كانت تضجّ ازدراء واحتقار. شاهدت اليزا بريق الانتصار في عينيه الجميلتين الواسعتين. ابتعد عنها بول بسرعة واخذ يحدق بصديقه بذهول واستغراب شديدين. لم ينظر اليه زاكاري عندما اقترب من اليزا وضمها اليه بقوة. تجاهل نظراتها الباردة وتظاهر بانه يتأملها بمحبة وحنان، ثم قال للرجل الآخر:

«انها كما وصفتها، يا بول، واكثر بكثير. كنت انوي الاتصال بك هاتفياً وابلاغك النبأ السعيد. تزوجنا امس في نيفادا».

اصفرّ وجه بول الذي لفحته الشمس، وبدا عليه الشحوب. تمتم بكلمة تهنئة، ولكن زاكاري تجاهلها ومضى الى القول:

«يجب ان اشكرك، يا بول، لأنك اعطيتني فكرة واضحة ومفصلة عن اليزا قبل ان التقي بها. يتحدثون عن التودد السريع، ولكني لا اعتقد ان احداً سبقني في هذا المضمار! لم اترك لها فرصة للتفكير بما تقوم به، الى ان تزوجنا ووقّعنا وثيقة الزواج».

تمتمت اليزا قائلة:

«زواج سريع وندم بطيء!».

ضغط زاكاري على ذراعها بقوة، حتى عضت على شفتها لتمنع نفسها من الصراخ. ثم نظر اليها معاتبا بخبث واضح:

«هذا ليس بالكلام الذي يفترض بعروس ان تقوله، يا حبيبتي».

اراد ان يقبّلها على شفتيها، ولكنها ابعدت وجهها قليلا فحطت قبلته على خدها. نظر اليها بغضب قبل ان يتركها، ويدفعها بحنان مصطنع نحو البيت قائلا:

«اذهبي، يا امرأة، واحضري لنا بعض القهوة والحلوى. هذه هي أقل واجبات الضيافة».

تطلّعت اليزا بتردد نحو بول، فازعجتها كثيراً تلك النظرة الباردة

على ملامح وجهه الوسيم. فهمت الآن لماذا حاول الانتحار عندما شعر بانه فقدها. كان الألم والمرارة واضحين في عينيه، ولكنها شعرت بان الشفقة الخفيفة التي احست بها تجاهه ذهبت هباء بسبب تصرف زوجها. تألمت كثيراً بسبب قساوة زاكاري وتصرّفه المتعجرف تجاه بول. لو انه طعنه في ظهره، لكانت تلك طريقة ايذاء اقل ايلاماً من هذا التحدي الساخر وجهاً لوجه.

عادت اليزا بعد قليل ومعها قطع الحلوى وابريق القهوة وثلاثة فناجين. كان الرجلان يجلسان الى احدى الطاولات، وكانت وجنتا بول استعادتا بعض اللون. الا ان نظرة الذهول كانت لا تزال بادية بوضوح في عينيه الحالمتين. تمنى لها السعادة بكلمات مقتضبة، ثم سأل زاكاري بهدوء:

«هل علمت زيبيه بالأمر؟».

تأمل زاكاري فنجان القهوة وكأنه يراه لأول مرة، ثم اجابه بكلمة نفي واحدة قبل ان يحوّل نظره الى وجه اليزا العابس. تطلع بول نحوها بسرعة وعصبية، وكأنه شعر بالذنب لتوجيهه مثل هذا السؤال امامها. ولكنه اصرّ على متابعة الحديث فقال لزاكاري:

«اظنّ ان عليك الاتصال بها لاطلاعها عما حدث».

نظر زاكاري الى اليزا وتأمل وجهها وعنقها بتمعّن قبل ان يقول لصديقه:

«دعها تعرف ذلك بنفسها. او ربما كان من الأفضل ان تطلعها انت عما حدث».

تطلعت اليزا نحو بول وسألته بلهجة باردة، وكأنها غير مكترثة بالأمر:

«هل زيبيه هي احدى صديقات زاكاري القديمات؟».

ابتسم زاكاري وقال لها بسخرية مؤلمة:

«لا داع للغيرة، يا زوجتي المحبة. انها فتاة سمراء وصغيرة القد وشبقة لمعنية، اي على العكس تماماً من الشابة الرزينة العاقلة التي



تزوجتها».

اعتذر بول قائلاً:

«آسف. لم اقصد ابداً ان يكون سؤالي سبباً للجدال».

«لا تقلق او تهتم».

وضحك زاكاري ثم مدّ يده وجذب اليزا نحوه. افلت يدها وطوّق خصرها بذراعه، على الرغم من محاولاتها اليائسة للتملّص منه، ثم قال:

«اجد متعة كبيرة في اغاظة زوجتي بسبب ترددها في اظهار حبها لي. ولكني سأعالج مرضها هذا واشفيها منه خلال فترة قصيرة».

همست اليزا بعصبية بالغة:

«يكفي! توقف!».

كانت يده الأخرى آنذاك تداعبها. حاولت ابعاد تلك اليد عنها، ولكنه امسك بيدها وجذبها نحوه. حاولت جاهدة سحب يدها ولكنه رفع تلك اليد الى شفتيه وقبلها. ابتسم بدهاء وهو يتأمل ملامحها الباردة والقاسية، ولم يترك يدها خوفاً من ان تصفعه. وسأل زاكاري صديقه فجأة:

«لديّ فكرة. لماذا لا تبقى هنا وتتناول معنا طعام العشاء، يا بول؟».

اوحت كلماته بانها مجرّد دعوة لم تخطر بباله قبل تلك اللحظة بالذات. ولكن اليزا شعرت بصورة مؤكدة انه فكّر بهذه الدعوة منذ بعض الوقت. اجابه بول بشيء من المرارة:

«لا يمكنني ذلك. انها ليلتكما الاولى هنا، واتصوّر انكما تريدان تمضيتها بكاملها على انفراده».

اشار زاكاري بيده نحو كريستين، التي كانت تلاعب كلب الحراسة ماكس، وقال:

«لدينا في ايّ حال مرافقة في السابعة من عمرها، ونحن بحاجة لشخص رابع كي نقيم حفلة خاصة. نريدك ان تبقى، أليس كذلك

يا اليزا؟».

«ربما لديه خطط اخرى، يا زاكاري».

برقت عيناه بقسوة عنيفة، قبل ان ينظر الى بول ويقول بشيء من الرقة... والحزم:

«اني آمره، بصفتي رئيسه في العمل بأن يلغي جميع خططه ويتناول العشاء معنا».

وضع بول يده على شعره الأشقر، وهو يحاول مواجهة النبرة القوية المفزعة في صوت زاكاري، وقال:

«انا... انا...».

«عظيم، اتفقنا. اذهبي، يا اليزا، واخبري نورا بان اربعة اشخاص سيتناولون العشاء».

ابتسم لها بعصبية وكأنه يتحداها بان ترفض اوامره. ابتسمت له بدورها واعتذرت بصوت خافت عن اضطرارها لمغادرتهما... وتوجهت الى البيت. لم تعرف هي نفسها السبب الحقيقي لهذا الانصياع غير المتوقع. هل فعلت ذلك لأن عنجهيته كانت تؤكد له بانها ستحاول تحديه، ام لأنها شعرت فعلاً بالخوف والرهبة من تسلطه وغطرسته؟

ابلغت مديرة المنزل بان السيد ستيوارت دعا بول اندروز الى العشاء، وقررت الا تعود الى الحديقة والتعرّض للمزيد من ملاحظات زاكاري القاسية وكلماته اللاذعة. دخل زاكاري بعد حوالى ربع ساعة الى قاعة الاستقبال، حيث كانت اليزا تجلس بارتياح وتتصفح احدى مجلات الأزياء.

«وجدتك اخيراً! اعتقد ان عدم انضمامك الينا ثانية يعتبر وقاحة، ايتها العزيزة».

«ليس بمثل وقاحتك وانعدام شعورك انت، ايها السيد».

ثم رمت المجلة بعصبية على الطاولة وسألته بحدة:

«الم تكن عديم الشعور وقاسياً جداً عندما دعوته الى العشاء؟».



جلس زاكاري بهدوء على مقعد مقابل وقال لها:

«حان الوقت لكي يتوقف بول عن تصوّرك فتاة احلامه العفيفة النقية. سوف تساعده الصدمة، التي شعر بها عندما علم بزواجك مني، على الوقوف بقوة على رجليه ومواجهة التحديات. سيتأقلم اثناء العشاء مع الواقع الجديد ويتعلّم كيف يواجهه، قبل ان يذهب ويغرق نفسه في جو من الحزن والمرارة والأسى».

توقف لحظة ليتأمل نظرات السخرية والتهكّم في عينيها، ثم مضى الى القول:

«سوف يعطيك العشاء ايضاً فرصة لتظهري لي مدى استعدادك الحقيقي لقبول الشروط التي نص عليها اتفاق زواجنا».

توترت اعصابها بسبب لهجته المتسلطة ونظرت اليه باحتقار قبل ان تسأله باستغراب:

«ماذا تعني بذلك؟».

«اتفقنا على ان نتصرّف امام الآخرين وكأننا فعلاً نحب بعضنا. واذا كنت تحاولين تطبيق الاتفاق منذ وصول بول، فانك... يا حبيبتي... ممثلة رديئة للغاية».

هبّت اليزا واقفة بعصبية بالغة، وقالت له بغضب واضح:

«اذا كنت تظنّ بانني سأسمح لك بمداعبتي او مغازلتي او ضمّي كلما جاء احد الى هذا البيت، فانك ترتكب خطأً جسيماً! لن يحدث هذا على الاطلاق!».

«ما اجمل النظر اليك، يا اليزا، وما اقبح ملامستك! هل تعتبرين وضع ذراعي على كتفك ضماً، او وضع يدي على يدك مداعبة ومغازلة؟ اشك كثيراً في ان لديك خبرة كافية لتعرفي الفرق الشاسع بين هذه وتلك. سأكون راضياً جداً للحصول على ابتسامة منك، مع انني اعلم انها ستلحق ضرراً بالغاً بهذا القناع الذي ترتدينه على وجهك».

ردت عليه بلهجة ساخرة:

«يمكنني ان ابتسم مرّات عديدة. واذا كانت ابتسامتي تكفي لمنعك من ضمّي اليك، فسوف ابتسم طوال الوقت. قد لا تكون لدي خبرة كافية في هذا المجال، ولكني اعرف حق المعرفة ان ما قمت به كان مداعبة وضيعة».

سألها زاكاري متهكماً:

«من اين اكتسبت هذه المعرفة الكبيرة كلها، ايتها العزيزة؟».

رفعت رأسها بعنفوان وتحد، وقالت:

«من رجل».

«اشك في انك تعرفت الى رجل في حياتك».

«تعلمت الكثير من قريبي مايكل، الذي يرافقني باستمرار منذ حوالى خمس سنوات».

ضحك زاكاري بدهاء وازدراء قائلا:

«ذلك الجرو المدلل الذي كان يتبعك في اندية نيفادا ليلتقط بعض ما يفيض عنك من مبالغ تافهة!».

ثم وقف وقال:

«اكرر لك ما قلته قبل لحظات... انت لم تتعرفي بعد الى رجل حقيقي».

نظرت اليه بازدراء وقالت:

«اتصوّر انك تظن نفسك رجلا حقيقياً!».

تأمل وجهها وشعرها الأشقر، ثم قال لها بتأفف:

«قد اقرر يوماً ان اثبت لك ذلك، يا اليزا».

«لا تحاول اضاعة وقتك!».

«انا لا اضيّع وقتي ابداً!».

ثم نظر الى الوراء ولوّح بيده قائلا:

«نحن هنا، يا بول. هل شاهدت كريستين؟».

«كانت تركض نحو قاعة الطعام عندما كنت انزل الدرج».

«اعتقد، اذن، اننا اصبحنا جميعاً مستعدين لتناول العشاء، هيّا بنا».

كانت كريستين تتكىء على كرسيّ وتضع قدمها على اخرى، وهي تتأمل الطاولة الأنيقة. ولما استدارت نحو القادمين الثلاثة، لاحظت اليزا ان اختها الصغيرة تبدو حزينة الى حدّ ما. ساعدتها على الجلوس وسألتها بصوت منخفض:

«ماذا في الامر يا حبيبتي؟».

لم تحاول الصغيرة الاجابة بهدوء مماثل، فجاء ردها عالياً اخجل اختها. قالت دون تردد:

«اتصور انني لن احصل هنا ابداً على طعامي المفضل... شريحة من لحم البقر وكمية كبيرة من البطاطا المقلية».

ضحك زاكاري بصوت عال وقال لزوجته، التي كانت على وشك تأنيب اختها:

«لا تقولي لها شيئاً، لأنها لم ترتكب أي خطأ. كل ما في الأمر انها صادقة وصريحة».

ثم نظر الى الطفلة الصغيرة، وقال:

«اعتقد ان بامكاني اقناع الطاهية باعداد شرائح اللحم هذه مع متطلباتها الأخرى مرّات عديدة في الشهر. فما رأيك، يا كريستين؟».

«عظيم! عظيم!».

كررت كريستين هذه الكلمة بسعادة بالغة، قبل ان يمضي زاكاري الى القول:

«هذه اول وجبة طعام تتناولينها مع اختك في بيتكما الجديد، واعتقد ان السيدة مارش حاولت اعطاءكما انطباعاً جيداً عن عملها».

دهشت اليزا لتحليه بمثل هذا الصبر، ولقدرته العجيبة في تفهّم مشاكل كريستين واهتمامه السريع والحاسم بحلّها. لكن لم يكن هناك اي حنان في وجهه... لم يكن ثمة مجال للرقة والحنان في تلك

الملامح القاسية. وشعرت اليزا ان لهجته القوية هي التي تثير اعجاب كريستين به. واحست مرة اخرى بالضيق والانقباض المتزايدين لأنه قادر على فرض نفسه وشخصيته على كل من يلتقيه... باستثناء اليزا فرانكلين! لن تتأثر بتسلطه وهيمنته! يمكنه ان يأمر من يشاء، وان يكون السيّد المطاع لأي شخص يقبل بالركوع امامه والرضوخ اليه... ولكنها لن تعترف ابداً بسلطته عليها وقدرته على التحكم بها! لن تسمح له بذلك... ابداً!

قررت فجأة الخروج عن صمتها، فركزت اهتمامها على بول اندروز وراحت تسأله عن عمله في معامل ستيوارت. لم تكشف لأحد عن دهشتها عندما علمت منه انه يتولى مهمة المبيعات والعلاقات العامة. انه صاحب شخصية محببة، وابن عائلة ثرية ذات نفوذ قوي في هذا الجزء من ولاية كاليفورنيا. ضعفه الوحيد هو تعلقه الاعمى بها، لأنها كانت اول شخص او اول شيء لم يتمكن من شرائه على الرغم من الثروة والاسم العريق. ولكنه قادر على ان يكون جذاباً وساحراً... عندما يريد ذلك. واكتشفت اليزا اثناء السهرة، انه تخلى تدريجياً عن شعور المرارة الذي كان ينتابه واخذ يجيب على اسئلتها المتلاحقة باهتمام وجدية شديدين.

شعرت اليزا ان زاكاري متضايق جداً لأنها تتحدث مع بول باستمرار. ابتسمت له اكثر من مرة، وبنعومة مذهلة، عندما كانت تسأله بين الحين والآخر اذا كان يوافقها على جملة او ملاحظة. ولكنها كانت تواصل حديثها دون ان تفسح له اي مجال للتعليق او المشاركة.

واخيراً، تدخل زاكاري في الحديث واقترح على الجميع التوجّه الى قاعة الاستقبال. حاول بول السير قرب اليزا، ولكن نظرات زاكاري الحادة ارغمته على الذهاب امامها.

هرعت كريستين فور دخولهم القاعة الى الكلب الكبير، الذي كان مستلقياً على السجادة العجمية الزرقاء قرب المدفأة البيضاء، وجلست قربه. اختارت اليزا مقعداً وثيراً قرب الكنبة التي جلس



عليها بول، وذلك لعدم افساح المجال امام زاكاري لمحاولة الجلوس قربها. الا ان زوجها الخبيث اسند نفسه على حافة المقعد، ووضع ذراعه بشكل يسمح ليده بمداعبة شعرها. بدأ يحدث بول عن البساتين والمعمل. نظرت اليه ببرودة فائقة، فوجّه اليها نظرات قاسية غاضبة. واحست عندما امسك بخصلة من شعرها بانها تكرهه... تكرهه بعنف، ومن صميم قلبها. وابتسم بخبث ودهاء، بمجرد ان ابعدت رأسها عن متناول يده، وقال لها بهدوء:

«لا شك ان هذا اليوم كان طويلاً جداً بالنسبة لكريستين. اعتقد ان عليك الآن اخذها الى النوم».

نظرت اليزا بسرعة نحو اختها الصغيرة التي كانت تتثاءب قرب الكلب النائم، واحست بان حبها للفتاة واهتمامها بها يمنعانها من معارضة اوامره. اعتذرت لبول وقالت له انها مسرورة لتمكنهما من مقابلة بعضهما مرّات عديدة في المستقبل. وجّه اليها زاكاري نظرة قاسية اخرى، ثم قال بلهجة الآمر الناهي:

«يجب ان تنضمي الينا ثانية بعد ان تنام كريستين».

لم تعلق بشيء على كلامه، واكتفت بتوجيه ابتسامة حنان مصطنعة قبل ان تطلب من اختها ان تتمنى للرجلين ليلة سعيدة. كانت مسرورة جداً لتمكنها من مغادرة تلك الغرفة، والابتعاد عن جوّ زوجها الخانق.

امضت اليزا ساعة كاملة قبل ان تتمكن من اقناع كريستين بالاستحمام وارتداء ثياب النوم، وبعد ان عانت كثيراً من حديث اختها المتواصل عن كلب الحراسة ماكس. وضعتها في سريرها وطبعت قبلة محبة وحنان على جبينها، وهي تبتسم لها وتطمئنها الى انها ستكون في الغرفة المجاورة... وانها ستفتح بابي الحمام المشترك بين غرفتيهما كي تشعر الصغيرة كأنهما في غرفة واحدة. لم تكن لدى اليزا ايّ نية لاطاعة اوامر زاكاري والنزول ثانية الى قاعة الجلوس.

لن تتحمل بعد الآن ان يجلس قريباً منها الى تلك الدرجة، وان

ينظر اليها بمثل ذلك الازدراء والاحتقار. لو حدث ذلك مرة اخرى، لاضطرت للصراخ... او حتى لصفعه على وجهه جلست امام المرآة، بعد ان ارتدت ثياب النوم، وراحت تسرّح شعرها بحدة وعصبية، انها تكره هذا الرجل الذي تزوجته رغماً عنها! يثق بنفسه لدرجة الغطرسة والعنجهية، ويتصوّر انه رمز للرجل المتفوق! تكاد تتقيأ لمجرد التفكير به، وبالطريقة التي يحاول السيطرة عليها! وشاهدت فجأة في المرآة أمامها عينين تنظران اليها بقساوة وغضب. استدارت بسرعة نحوه، وسألته بحدة واضحة:

«ماذا تفعل هنا؟».

«لم تعودي الى القاعة كما طلبت منك».

أوه، كم انها تكره ذلك الاسلوب الناعم الذي يضعها دائماً في موقف الدفاع عن النفس!

استأنفت تسريح شعرها وهي تقول له ببرودة:

«لم اكن قادرة على ذلك».

لم يجبها، فوضعت الفرشاة بعصبية على طاولتها واستدارت نحوه صارخة:

«هذه غرفتي، فهل تفضلت بالخروج منها حالاً!».

اشعل سيكارة بهدوء مثير للأعصاب، وقال لها بتهكم جارح:

«من المؤسف جداً انك لم تنزلي الى القاعة. قدمت عرضاً ممتازاً لبول عن مدى تشوّق عروستي الجميلة لموافاتها الى غرفة النوم. كان منظراً طريفاً ومسلياً جداً، عندما احمرّت وجنتاه حياء وخجلا وغادر البيت على عجل».

ردّت عليه بشراسة وغضب مميزين:

«لا أجد في هذا التصرّف طرافة او تسلية. اني اشعر بالاشمئزاز. هل تسرق الحلوى ايضاً من ايدي الأطفال؟».

ضحك زاكاري وقال لها بتهكم:

«ما هذا، ايتها العزيزة؟ وخز ضمير في مثل هذا الوقت المتأخر؟



انا لم اكن الشخص الذي دفع ببول الى تناول تلك الكمية الكبيرة من الحبوب المنومة، بهدف الانتحار! انت التي فعلت ذلك... وانت التي وصفته بتلك الكلمات القاسية اللاذعة! هل تحاولين ابلاغي الآن بانك كنت ستعاملينه بطريقة مختلفة لو انك عرفت انه سيحاول قتل نفسه؟».

ابعدت اليزا وجهها عنه لاخفاء الاحمرار الذي غطى وجنتيها، والناجم عن شعورها بالذنب لأنها كانت صلبة وقاسية القلب والفؤاد مع ذلك المسكين ثم تمتمت قائلة:

«لا اعرف».

توقفت لحظة واضافت بلهجة اقوى واكثر ثقة بالنفس:

«لا، لم اكن لأعامله بطريقة مختلفة. ولكنني لم اكن قاسية ومتحجرة القلب مثلك! هل تعرف ماذا ظن في بداية الأمر؟ ظن انك احضرتني الى هنا لأجله. تصور انك اقنعتني باعطائه فرصة أخرى. تخيل انك تفعل ذلك، لأنك صديقه وتحبه وتهتم به. لم اشعر طوال حياتي بمثل الأسف والأسى اللذين شعرت بهما الليلة تجاه بول، عندما اخبرته بسماجة ووقاحة انني تزوجتك. كان بامكانك ان تبلغه النبأ الحزين بطريقة اكثر انسانية ورقة، ولكنك رميتني في وجهه كجلد نمر اصطدته بسهولة».

ابتسم زاكاري بخبث ودهاء، وقال:

«انت لست تذكاراً من احد انتصاراتي... انت جائزة وغنيمة! لا ينفع الغنج والدلال، او الشعور بالشفقة، في تقوية العزيمة وتعليم الشجاعة. فلا تحاولي هذه الطريقة مع بول! لو تعاونت معي هذه الليلة، عوضاً عن محاربتي ومعارضتي، لتمكنا من تحقيق انجاز رائع معه».

نظرت اليه بعينين فولاذيتين وسألته بسخرية لاذعة جداً:

«وكيف سنساعد بول لو اني سمحت لك بمداعبتي او مغازلتي؟».

قطّب زاكاري حاجبيه ونظر الى وجهها محذراً منذراً، ثم قال:

«اجبت عن هذا السؤال في وقت سابق من هذه الليلة، ولا أنوي ابداً تكرار ما اقوله».

ثم ابتسم بتحدٍّ صارخ واضاف قائلا:

«ذكرت لي على الأقل السبب الحقيقي لرفضك العودة الى قاعة الاستقبال. كنت خائفة مني، او بالتحديد... من ممارستي الغزل معك، بغض النظر عن البراءة التي ستتم بها».

بصقت في وجهه وصرخت باستياء شديد:

«كذّاب! كذّاب! انك تثير في نفسي الاشمئزاز والتقزز، ولكني لا اخاف منك او من محاولاتك المقرفة لاظهار رجولتك امام الآخرين! عقدنا اتفاقاً تجارياً فيما بيننا... واذا كنت تتصوّر ان العلاقة ستتحوّل الى ايّ شيء آخر، فانت مخطىء تماماً. اني احتقر جميع الرجال... وخصوصاً انت، يا سيد ستيوارت!».

هز زاكاري كتفيه باستخفاف بالغ، وقال:

«اننا نتجه منذ يوم امس الى مثل هذه المناقشة، هل تتحدينني عمداً، ام انك تريدين مني ضمناً وبطريقة لا شعورية ان اقوم باغوائك؟».

لم تعد اليزا قادرة على ضبط اعصابها بعد سماعها تلك الكلمات الحقيرة والمذلة. امسكت بفرشاتها كسلاح وهجمت عليه بعنف وشراسة. امسك زاكاري باليد التي تحمل الفرشاة، ولوى الذراع حتى افلتتها وهي تصرخ من شدة الألم. دافعت عن نفسها بيدها الأخرى، ولكنه امسك بها أيضاً ووضع اليدين معاً وراء ظهرها... ثم ضمها اليه بقوة. شعرت بان عظامها سوف تتحطم، فصرخت به بحقد بالغ:

«أكرهك! أكرهك!».

ضحك زاكاري ورفع وجهها نحوه قائلا:

«هل تتوقعين مني ان اصدق ذلك؟ كنت تعلمين ماذا سيحدث عندما قمت بهجومك النسائي المثير للشفقة. كنت تعرفين جيداً انك



ستنتهين كأسيرة بين ذراعي القويتين».

ارتجف جسمها عندما احست ان كلماته تحمل بعض الحقيقة، ولكن الفكرة بحدّ ذاتها منافية للعقل والمنطق. لم تهاجمه الا بسبب غضبها الشديد من غروره المستبد وانساها ذلك الغضب مدى ضعفها الجسدي امام هذا الرجل العملاق.

«انك تافه الى درجة لا تصدق!».

«يمكنني ان احملك على الوقوع في حبي، ولكن هذا الامر ليس من ضمن الصفقة المعقودة بيننا».

ابعدها عنه بازدراء، ومضى الى القول:

«قبلت مبلغ المئتي الف دولار لأمنحك اسمي واسمح لك بالعيش في منزلي لمدة سنة. ولكن الاتفاق لم ينص على ان احملك الى سريري، اليس كذلك؟ هذا مع العلم ان لي الحق في ذلك... كزوج».

«لن اسمح لك بذلك ابداً».

ظهر الغضب على وجهه وفي عينيه، قال لها:

«لنوضح هذا الأمر بصورة نهائية، يا اليزا. انا لست راغباً ابداً في حملك الى سريري».

تسمّرت في مكانها بسبب غروره وعنجهيته، وفتحت فمها لتوجه اليه كلمات جارحة وترد له الصاع صاعين. ولكنها توقفت عن ذلك عندما سمعت صوتاً ناعماً يقول بانزعاج:

«ايقظتماني!».

هرعت نحو اختها، ولكنها سمعته يقول لها وهو يغادر الغرفة:

«انك محظوظة للغاية!».

امضت اليزا حوالى عشرين دقيقة مع كريستين حتى غطت في نوم عميق. عادت الى غرفتها وتأملت بانزعاج بالغ الاحمرار الشديد في معصميها. ازداد كرهها له، ولكنها ادركت انه ليس بامكانها ان تقاومه جسدياً. ومع انها فرحت لأنه لا يريدها، الا انها عرفت ان

السلاحين الوحيدين المتوفرين لديها لم يعد لها اي نفع او فائدة. لديها المال والجمال، اللذان تستطيع بهما تحقيق اهدافها ومآربها. ولكن زاكاري اصبح يملك كمية كبيرة من المال، كما انه اوضح لها قبل قليل ان جمالها وجاذبيتها لا يثيرانه ابداً... وانه عازف عنها.

وامضت اليزا ليلة مزعجة ومقلقة...

استيقظت اليزا وكريستين في وقت متأخر. وفيما كانت الاخت الكبرى تزيّن وجهها وتحاول اخفاء الارهاق البادي عليه، كانت الصغيرة تقفز حولها بنشاط وشوق لمواجهة يوم جديد.

نزلتا الى غرفة الصباح، فابلغتها مديرة المنزل بان زاكاري استيقظ في السادسة وتوجه الى عمله فور تناوله فطوره. كانت كلماتها مقتضبة وتوحي بانها متضايقة من نزولها في مثل هذه الساعة المتأخرة، الا انها لم تتردد لحظة في تجهيز الطاولة بنوعين مختلفين من الطعام. تناولت كريستين طعامها وشربت كوب العصير ثم اكلت برتقالتين كبيرتين فيما اكتفت اليزا بشرب القهوة.

كان الوقت ظهراً، عندما تمكنت كريستين اخيراً من اقناع اختها بمرافقتها الى الخارج. سارت الاختان بين اشجار السنديان الضخمة التي تحيط بالمنزل، وتوقفتا قليلا قرب الحاجز الخشبي الذي يفصلها عن البساتين. كانت اليزا شاردة الذهن، فلم تبد اهتماماً كاملا باختها وبالاسئلة المتعددة التي كانت توجهها. تأففت الصغيرة وقررت ان تطلق لخيالها العنان. بدأت تجمع بعض الاغصان وكمية من اوراق الشجر لتبني بيتاً صغيراً، يعيش فيه اولئك الاشخاص الذين لا يزيد حجمهم عن اصبع يدها. راقبتها اليزا وهي تبني الجدران والسقف بعناية فائقة، وتحدّث اصدقاءها احلامها وخيالها برقة ونعومة.

انهمكت كريستين في مهمتها، فتمكنت اليزا من الانفراد بنفسها وبافكارها. الا ان تلك الافكار تحولت فجأة، ورغماً عنها، الى زاكاري ستيوارت. تعرف انها جميلة وجذابة، وتعلم ان معرفتها تلك



ليست نابعة من غرور او نفاق. انها جميلة جداً، ويجب ان يثير جمالها الفتان اهتمام زاكاري ورغباته. ولكنه يبدو انه معجب بها حيناً، ويتجاهلها تماماً معظم الأحيان الأخرى. كان مالها وجمالها دائماً افضل شيئين تملكهما، وكانا دائماً يجذبان اليها اعداداً لا تحصى من المعجبين. صحيح انها لم تكن راغبة في اي منهم، ولكنهم كانوا جميعا هناك... وتحت تصرفها وسيطرتها. الا ان هذا الرجل القوي العنيف الذي تزوجته، ليس منهم.

حاولت في الليلة الماضية ان تتخذ موقفاً صارماً، وان تبلغه عزمها على عدم اطاعة اوامره. ولكنها لم تنجح الا في حمله على توجيه الاهانات اليها وانتقاد شخصيتها وتصرفاتها. كانت غبية جداً عندما فقدت سيطرتها على اعصابها ورباطة جأشها، وكان زاكاري ذكياً جداً عندما سارع لاستغلال هذين الامرين. تذكرت العنف البارد الذي واجهها به عندما حاولت مهاجمته. وتذكرت ايضاً السهولة التي شلّ بها مقاومتها، قبل ان يضمها بقوة الى صدره، كانت ترفض دائما في السابق ان يقترب منها ايّ رجل الى هذه الدرجة. لم تواجه مثل هذا الوضع الا مرّات قليلة لا تتجاوز عدد اصابع اليد الواحدة. اقنعت نفسها بان هذا هو السبب اذن في عدم قدرتها على الدفاع بقوة، عندما اصطدمت بجسمه القاسي كالحجر. ثارت احاسيسها ومشاعرها، وجعلتها تدرك تماماً وجود الذراعين القويتين اللتين طوقتاها وشعرت برائحة عطره تداعب انفها، وبانفاسه الحارة ترقص بين خصلات شعرها. الا ان اكثر شيء ازعجها وقضّ مضجعها، كان تهديده بصوت ناعم انه قادر على ايقاعها بحبه. احست آنذاك بانها تحتقره... ولكن المشهد يعود الآن بسرعة الى ذاكرتها ومخيلتها.

تركها زاكاري فور اطلاقه تلك الجملة الرهيبة، مؤكداً لها بقساوة بالغة ان زواجهما اضحوكة تافهة... وانه سيظلّ على هذا الحال طالما انه هو يريد ذلك. حاولت اليزا جاهدة ان تقنع نفسها بعكس ذلك... بانها هي التي تقرر مصير زواجهما. ولكنها اضطرت

للاعتراف بالحقيقة. خافت منه، ولكنها لم تكشف له عن ذلك.

كانت بعض مشاعرها، على ما يبدو، راضية بسطوته وقوته وعنفه... ولكنها رفضت الاستسلام. حاربت وناضلت طوال سنوات عديدة، فكيف تسمح لنفسها بالانهيار خلال لحظة واحدة؟ وتساءلت بحيرة عما كان سيحدث معها لو ان كريستين لم تستيقظ وتوقف الجدال الذي كان سيؤدي بالتأكيد الى انتصاره!

لا شك في انها لم تعرف زاكاري على حقيقته... وانها قللت من اهميته. كان الزواج وسيلتها الوحيدة لتطبيق الشروط التي نصت عليها وصية امها... كان تضحية بمبادئها وافكارها لأجل اختها. اختارت زاكاري ظناً منها انها قادرة ان تسيطر عليه، ولكنها فشلت فشلا ذريعاً ومؤلماً. لم يعد بامكانها ان تسلّط ثروتها فوق رأسه كسيف قاتل، فاصبح من واجبها اذن ان تواجهه ببرودة اعصاب حتى لو اضطرت لتحمل توبيخه وتهكمه. تصوّرت سابقاً ان جاذبيتها سلاح ماض، وحزنت كثيراً لأنها لم تعد قادرة على استخدام هذا السلاح. لكنها احسّت الآن بالامتنان، لانه لا يريدها اطلاقاً. بامكانه ان يكون قاسياً جداً لا يعرف الشفقة او الرحمة، اذا اراد الحصول على شيء ما. شعرت بانها سعيدة الحظ لأنها لا تثير رغباته وغرائزه... مع ان انوثتها كانت تصرخ مطالبة بمعرفة السبب.

وبما ان برودتها لن تبعده عنها، وغضبها لن يؤدي الى اثارة غضبه، فقد قررت ان تتجنبه قدر الامكان. ستبني واختها عالماً خاصاً بهما يستثني زاكاري ستيوارت. وقالت اليزا لنفسها ان النار لا تشتعل بدون وقود... ولا تحرق اولئك الذين لا يقتربون منها كثيراً. ارتاحت نفسياً للقرار الذي توصلت اليه لتوّها، فعادت تراقب كريستين والنتائج التي اسفر عنها خيالها الخصب. سمعت صوت حوافر حصان، فتطلعت نحو مصدره وشاهدت شابة صغيرة القد تمتطي حصاناً بني اللون. كانت ترتدي سروالا اسود ضيقاً وقميصاً دون اكمام. وفجأة، حولت الشابة الحصان باتجاه آخر،



وكأن شخصاً ناداها.

رأت اليزا زوجها يقف بعنفوان قرب احد ابنية المعمل، وراكبة الحصان تتحدث معه دون ان تنزل الى الارض. كانا بعيدين عنها، فلم تسمع الحوار الذي يجري بينهما. ولكن الفتاة بدت غاضبة، في حين ان زاكاري المتغطرس كان يبدو هادئا ومسيطراً على اعصابه. رفعت الفتاة يدها دون سابق انذار وهوت بها على وجه زاكاري لكنه امسك بتلك اليد ثم جذب الشابة عن السرج. شاهدته اليزا وهو يضحك، فيما كانت الشابة تحاول الافلات من بين ذراعيه. وهدأت الفتاة، بعدما بدأ يحدثها، ثم رفعت ذراعيها فجأة وطوقت عنقه... وجذبت رأسه نحوها. احست اليزا بالغثيان، ولكنها لم تتمكن من تحويل نظرها عنهما... وعن عناقهما العاطفي. اغمضت عينيها بعد قليل لأنها لم تعد تتحمل رؤية تلك الفتاة وهي تذوب بين ذراعيه.

كرهت زاكاري ستيوارت واحتقرته! ارتعش جسمها بضراوة وتوترت اعصابها بعنف. انه حيوان، حيوان متوحش! وتمنت لو انها لن تراه بعد الآن! كيف يمكنهما ان يفعلا ذلك في العراء، حيث يقدر اي شخص على مشاهدتهما! وارتاحت نوعاً ما، عندما لاحظت ان كريستين لم تشاهد هذا المنظر المقزز والمثير للاشمئزاز...

## ٣ - المبارزة الضارية

ابلغت نورا كلا من اليزا وكريستين، اثناء الغداء أن زاكاري لن ينضم اليهما. قالت لهما انها ارسلت اليه بعض الطعام الى المعمل. ومع ان كريستين عبرت عن خيبة املها، لكن اليزا شعرت بالارتياح لأنها ليست مضطرة للجلوس معه الى مائدة واحدة. وجددت بقوة تعهدها لنفسها بانها ستحاول تجنبه قدر امكانها.

حافظت بثبات، اثناء العشاء، على الحواجز النفسية التي قررت اقامتها بينهما. ولكنها شعرت بالغضب، عندما تبيّن لها انه لم يحاول اطلاقاً تخطي تلك الحواجز. كانت تتمنى ان يحاول ولو مرة واحدة، وذلك لترضي غرورها بصده ورده. لكنه ظل يقرأ صحيفته المسائية طوال فترة العشاء، ثم اعتذر بتأدب قائلاً انه مضطر لدراسة بعض



الأوراق الهامة. اضاف بسخرية انه متأكد من ان اليزا لا تمانع في البقاء وحدها لبعض الوقت. لم يكن لديها اي خيار سوى القبول بهدوء، ممتعضة الى درجة كبيرة لأن الاقتراح جاء منه وليس منها.

تجاهلها خمسة ايام متتالية، وكان يأخذ المبادرة دائماً بالتأكد من انها وحدها. لم يفسح لها المجال مرة لتكون هي البادئة في عملية التجنب والابتعاد. كان دائماً سباقاً في هذا المجال، ولم تتمكن من ارضاء غرورها وعنجهيتها. فما استخدم مطلقاً مكتب المنزل، الذي وصفته كريستين بغرفة الأسد. كان يذهب دوماً الى المعمل، وكانت اليزا تفترض انه على موعد مع راكبة الحصان المجهولة.

امطرت السماء في الليلة الخامسة، وبعد مغادرة زاكاري المنزل بفترة قصيرة، كانت الغيوم الكثيفة تنذر طوال النهار بمطر غزير. وفعلاً، نفذت انذارها ليلاً... وبقوة. جلست اليزا على كنبة مريحة، وحاولت اقناع نفسها بأن الكتاب الذي تقرأه مسل وممتع. ولكنها شعرت بالملل والضجر بعد ليال اربع، كان الكتاب وحده رفيقاً لها. ضايقها استمرار المطر، فاشعلت سيجارة ووضعت الكتاب جانباً... واغمضت عينيها.

رن جرس الهاتف فجأة في سكون الليل، فشعرت بأن الرنين ملأ الغرفة الهادئة ضجيجاً وصخباً. توقعت ان ترفع نورا السماعة الموجودة في المدخل، ولكنها تذكرت ان مدبرة المنزل ذهبت الليلة الى بيتها. رفعت السماعة وفتحت فمها لتسأل عن المتكلم، فسمعت زاكاري يقول:

«بساتين ستيوارت!».

سمعت اليزا صوتاً نسائياً ناعماً يقول على الطرف الآخر:

«هل انت الذي امرت بهطول هذا المطر، يا زاكاري؟».

«لا، لم افعل ذلك...».

توقف زاكاري قليلاً، ثم مضى الى القول:

«اعذريني، يا رينيه، يبدو ان معي شخصاً آخر على الخط. سوف

تتحدث في وقت لاحق».

تنفست اليزا بعصبية بسبب لهجته الساخرة، واعادت السماعة بعنف الى مكانها وهي تأمل في ان يؤدي صوت الاقفال القوي الى اختراق طبلة اذنه. من المؤكد انه علم بوجودها هي على الخط. لم يكن في البيت احد غيرها سوى كريستين التي تغط في نوم عميق. الخسيس! يقيم علاقة مع امرأة اخرى، ويتجرأ في الوقت ذاته على اتهامها هي بسوء التصرف! وابتسمت بشماتة واضحة... كان للمطر جانب ايجابي واحد على الأقل، اذ حرمها من اللقاء!

ظهرت الشمس بعد ظهر اليوم التالي، وعبقت في الجو رائحة الأرض والتراب. جلست اليزا تتأمل اختها الصغيرة، المنهمكة في ترتيب اغراضها التي وصلت في اليوم الفائت. تنهدت بقوة، وهي تتمنى لنفسها حياة الهدوء والسكينة التي تعيشها كريستين.

لم يكن يعزيها شيء سوى معرفتها بأن اختها مرتاحة وسعيدة. ألم يكن ذلك وحده سبب زواجها؟ انها تحب كريستين كثيراً، ولا تشعر بأي ندم نتيجة للتضحية الجبارة التي قدمتها. ولكنها لم تشعر ابداً في حياتها بمثل هذا الملل، والضجر، والقلق، والانقباض! ومما يزيد في انزعاجها، انها الوحيدة التي تواجه مثل هذه المشاعر والأحاسيس. لو ان زاكاري متضايق مثلها، لأحست على الأقل انها حققت انجازاً ما. ولكنه يبدو سعيداً ومرتاحاً فيما تجلس هي وحيدة في البيت وتقوم بدور الزوجة المطيعة الخانعة.

لم يتغير تصرف نورا الجاف نحوها، كما انها ليست راغبة في اقامة اي علاقة ود مع الطاهية العصبية المزاج. كان زاكاري يستيقظ باكراً ويتناول فطوره، ثم يتوجه فوراً الى المعمل قبل ان تستيقظ هي من نومها. واكتشفت اليزا ان اختها تناولت معه اليوم فطور الصباح، وللمرة الثانية على التوالي، قبل ان تدخل غرفتها وتوقظها من النوم. ليس لديها احد تصادقه او تتحدث معه باعصاب هادئة. وعلى الرغم من حبها الكبير لاختها فهي لا تزال في السابعة من عمرها... ولا



يمكنها ان تكون بديلاً عن الراشدين.

«قالت نورا انك جالسة في الخارج. هل يمكنني الانضمام اليك؟».

وقفت اليزا بسرعة وتطلعت نحو مصدر الصوت... الى باب القاعة المؤدي الى الشرفة... مدت يديها بارتياح وترحيب بالغين، وقالت له بصوت عال:

«بول! اني مسرورة جداً برؤيتك ثانية. تفضل».

احست في تلك اللحظة بشعورين مختلفين يموجان في داخلها. شعرت بسرور بالغ لأن ثيابها الجميلة والضيقة تناسبها تماماً وتبرز محاسنها بشكل مغر وجذاب. وشعرت ايضاً ان بول تغير كثيراً، وربما كان ذلك نتيجة جو الثقة بالنفس الذي يبرز اصالته وجاذبيته. لاحظت، وهو يصافحها، بأنه يحمل هدية. ارشدته الى كرسي قربها وصبت له كوباً من الشاي المثلج، الذي كانت تشرب منه. اخذ الكوب منها ووجه اليها ابتسامة عذبة دافئة، قائلاً:

«لم اكن متأكداً تماماً من طريقة ترحيبك بي، وبخاصة بعد ذلك التصرف الغبي الذي صدر عني هنا. لا شك في انني تسببت في احراجك الى درجة كبيرة».

ظهر بريق خاطف في عينيها عندما تذكرت ذلك المساء، وقالت:

«لم يحرجني سوى موقفك وشعورك آنذاك، كما انني تضايقت من زاكاري لأنه لم يذكر لي ابداً انك آت الى هنا».

«احضرت لكما هدية عرس».

حاولت اليزا ان تحتج، فسارع الى القول:

«هذا اقل ما يمكنني القيام به. افتحيها الآن او انتظري زاكاري. الأمر عائد لك».

هدية عرس! شعرت بلفحة باردة في داخلها، لأن الهدايا تدفع بزواجها الاضحوكة خطوة نحو الجدية. ولكنها ارغمت نفسها على الابتسام والتأكيد له بأنها لن تنتظر زاكاري كي تفتح العلبة. مزقت

بهدوء الورقة الجميلة التي لفت بها العلبة، وفتحتها... لتجد اجمل طقم من الكؤوس الثمينة المخصصة للعصير. لم تجد صعوبة في ايجاد الكلمات المناسبة للتعبير عن اعجابها بروعة الهدية، بل ترددت في ابلاغه بانها فعلاً تناسب صاحب بساتين ستيوارت وعروسه. لم تحب ان تربط نفسها بزاكاري، حتى بهدية عرس.

«اعرف جيداً ان ما سأقوله لك الآن سيبدو غريباً للغاية. ولكن... بما انني لم اتمكن انا من اقناعك بالزواج مني، فإني سعيد جداً لأنك تزوجت زاكاري. الصداقة القوية والمتينة قائمة بين عائلتينا منذ سنوات طويلة، وانا لا اعرف اي شخص لا يعجب به او يحترمه».

ارادت من صميم قلبها ان تقول له ان ثمة شخصاً واحداً على الأقل لا يشعر نحوه بأي اعجاب او احترام على الاطلاق، ولكنها آثرت الصمت. ومضى بول الى القول بصدق وامانة، وهو يجهل حقيقة مشاعرها وما يدور في خلدها:

«ارى ان الزواج يناسبك تماماً. لست جامدة ومتحفظة كما كنت سابقاً. لم يكن لديك من قبل مثل هذا الدفء وهذه العاطفة».

هل تغير بول وتبدل؟ هل هي عاطفية الآن؟ نعم... الى حد ما. لم تكن تهتم سابقاً بمشاعره، ولم تتأثر او تقلق اذا تألم ام لا. اما الآن، فهي تهتم. اصبحت تنظر اليه كأنه طفل يتيم مثل كريستين. لماذا لم تكتشف فيه من قبل هذا الجانب اللاأناني في نفسه وشخصيته؟ تسرعت كثيراً في ادانته، والاستهزاء بكلمات الحب الضعيفة التي كان يوجهها اليها. ولكن ضميرها بدأ يسألها الآن عما اذا كان الضعف في كلماته ام في رد فعلها هي. رفضت الاجابة على هذا السؤال. يكفيها الآن انها تعرف ان بول صديق حقيقي، وانه اول شخص لم يرغب في اي شيء اكثر من سعادتها وهنائها.

وبإخلاص ادهشها بقدر ما ادهشه، راحت اليزا تسأله عن بيته وعائلته وحياته. اعجبها كثيراً عندما تحدث بفخر واعتزاز عن



عائلته، وبلهفة وحماسة عن عمله في معامل ستيوارت. تمتعت بحديثه الى درجة كبيرة، خاصة لأنها كانت وحيدة جداً طوال الأيام الماضية.

تعبت كريستين من اللعب وحدها بكرتها الصفراء الكبيرة، فقاطعت حديثهما ببراءة وفرضت عليهما مشاركتها في لعبة الكرة. ضحكت اليزا مرتين عندما شاهدت محاولات بول الجدية لالتقاط الكرة. لم تعد تذكر آخر مرة ضحكت فيها امام شخص بالغ... حتى مايكل. تمكن بول اخيراً من التقاط الكرة، فاضطرت كريستين للوقوف في الوسط والقيام بدور حارس المرمى. احست اليزا بان هذه هي الطريقة التي تخيلتها دائماً بالنسبة للعائلات السعيدة. وعندما حان دورها لأخذ مركز الوسط، شعرت بانها قادرة على توجيه ابتسامة شكر وامتنان الى بول. لم تدرك ان ابتسامتها الجميلة والصادقة شكلت تحولاً يبهر الانظار عن الجدية المتحجرة التي كانت تغطي وجهها في السابق. رمت كريس الكرة عالياً، وضحكت بسرور بالغ عندما شاهدت اختها تقفز في الهواء لالتقاطها. زلت قدمها وكادت تهوي الى الأرض، لو لم يهب بول نحوها ويمسك بها من خصرها. شعرت بألم حاد في رسغ قدمها، ولم تعد تقوى على الوقوف بارتياح. اصر بول على مساعدتها للجلوس على احد المقاعد القريبة، ثم انحنى امامها ليفحص القدم. احتجت على ذلك بالقول: «لويت قدمي، يا بول. هذا كل ما في الأمر».

شعرت براحة نفسية عندما لاحظت اهتمامه وقلقه الصادقين، خشي ان تكون اليزا الحقت ضرراً بالغاً بقدمها. وانتقلت عدوى الجدية منه الى كريستين، التي سارعت باحضار سجائر اختها وكوب الشاي البارد. ارادت ان تعوض عن الألم الذي لحق باختها، من جراء الطريقة المتهورة التي رمت بها الكرة. ومع ان اليزا سرت باهتمامها المتزايد بها، الا انها اصرت على الوقوف لتثبت لها انها بخير. ظلت يد بول ممسكة بذراعها بقوة فيما قطعت الحديقة ذهاباً

واياباً دون عرج.

«هل اقتنعتِ الآن اني بخير؟ لم تؤلمني الا للحظات وجيزة فقط بعد قفزتي».

هز بول رأسه بارتياح، وقال باسماً:

«خفت عليك فعلاً، يا اليزا. الافضل ان نتوقف الآن عن متابعة اللعب، لأن العشب لا يزال رطباً ويساعد على الانزلاق. قد يتعرض احدنا في المرة المقبلة الى اذى حقيقي».

وافقت كريس دون تردد وراحت تضرب الكرة وتركض وراءها في رجاء الحديقة. راقبها بول واليزا بصمت بعض الوقت، ثم وقف الصديق الطيب وقال:

«يجب ان اذهب الآن، يا اليزا. لم اكن انوي البقاء طوال هذه الفترة».

ردت عليه بهدوء، وهي تشعر بانها ... للمرة الأولى... تعني كل كلمة تقولها:

«اني سعيدة بمجيئك، يا بول. وآمل في ان تتمكن من الحضور الى هنا كلما سنحت لك الفرصة بذلك».

ابتسم بول وقال:

«لن احضر مرات عديدة، لأني اكره ان يشعر زاكاري بالغيرة».

ضحكت لتخفي انزعاجها من مجرد ذكر اسمه، وقالت:

«لا يهمني ابداً كيف يفكر وبماذا يفكر! انا وكريستين نحب كثيراً ان نراك هنا في اي وقت. سأرافقك حتى سيارتك، كي تتأكد من ان قدمي سليمة تماماً».

احتج بول بطريقة شعرت اليزا من خلالها انه مسرور ضمناً من قرارها هذا. ولما وصلا الى حافة الطريق، اصر بول على الا تتابع سيرها بسبب برك الماء التي تجمعت نتيجة للمطر الغزير. امسك بيدها يودعها. ومع انه لم يتركها الا بعد فترة طويلة، شعرت اليزا بانها غير متضايقة من ذلك. وعندما ابتعد بسيارته ملوحاً لها



ولكريستين البعيدة عنها، حاولت اليزا ان تتذكر ما اذا كانت يداه تنضحان عرقاً ام لا... كما كانت تدعي في السابق. لا، لم تكن يداه مزعجتين او مقززتين كما صورتهما لنفسها. محت من رأسها الصورة القبيحة التي رسمتها له، واحلت محلها صورته الجديدة التي اكتشفتها اليوم. وقفت في مكانها فترة طويلة، حتى غابت السيارة عن نظرها.

«يا له من مشهد صغير مؤثر!».

تجمدت ملامح الارتياح والسرور في وجهها، واستدارت بعصبية نحو مصدر الصوت الساخر والغاضب. كان زاكاري يقف وراءها بقامته الطويلة، وينظر اليها بعينين فولاذيتين قاسيتين. ومع ان سيارة بول غابت عن الانظار، الا ان اليزا التفتت بسرعة نحو الطريق... وكأنها تخاف على سائقها من سطوة رئيسه.

«كان عليك ان ترسلي شخصاً لابلاغي بانه هنا».

حدقت ببرودة قاسية في وجهه الأسمر الجذاب، وقالت بتحد:

«لا اعتقد انه اتى لرؤيتك».

اغضبته ملامح الزهو والانتصار في وجهها، فقال لها والشرر يتطاير من عينيه:

«ولماذا اتى اذن؟».

شعرت بمتعة غريبة عندما شاهدته يرفع حاجبيه استياء، وقالت بنعومة:

«اعتقد انه جاء للاعتذار مني، لأنه احرج موقفي في المرة الماضية».

«وكم من الوقت استغرق تقديمه هذا الاعتذار؟».

شعت عيناها ببريق العنفوان والتحدي، وقررت الامعان في اثارة اعصابه وغضبه. قالت له ببرودة مذلة:

«ساعة كاملة تقريباً».

«تصورت انني افهمتك بوضوح بانني لا اريدك ان تشجعيه. كان

عليّ ان اعرف انك الحقت به ضرراً كافياً في المرة الماضية، دون ان تقوديه الى الاعتقاد بانك تريدين كسب وده. . . حتى مع انك الآن امرأة متزوجة!».

ثم نظر اليها بعينين قاسيتين، وسألها بعصبية بالغة:

«الم تلحقي به بعد ضرراً كافياً؟».

ردت عليه بحدة:

«لم اقم اطلاقاً باي شيء يشجعه على الاعتقاد بأنني اريد منه اي امر سوى صداقته. امضيت وقتاً ممتعاً بعد ظهر هذا اليوم، برفقة شخص محبب جداً».

«لا يمكن ابداً لأي رجل وامرأة ان يكونا صديقين. فاما ان يكونا مجرد شخصين يعرفان بعضهما او عشيقين. من المستحيل تماماً ان تقوم بين شخصين مثلكما اي علاقة عذرية كهذه التي تشيرين اليها».

بلغ الغضب في صوته ونبرته حد الصراخ، وراح لسانه يلسعها كالسوط دون شفقة او رحمة. اضاف قائلاً:

«قد تكون لديك بعض الخبرة لتعرفي هذه الحقيقة. وعليك ان تقبليها كواقع ثابت، لأنه طالما انك زوجتي فلن اسمح بقيام اي علاقة بينكما تخرج عن اطار المعرفة العادية!».

علقت اليزا على اوامره بجملة ساخرة، فقالت:

«اخيراً تحدث المستبد الطاغية! وكيف تريدني اذن ان انظر الى علاقتك مع رينيه؟ هل اعتبركما مجرد شخصين تعرفان بعضكما، ام عشيقين؟».

حل التهكم لحظة محل الغضب عندما قال لها:

«تساءلت طويلاً عن سبب عدم اثارتك هذا الموضوع، ايتها العزيزة. من المؤكد انك تذكرين جيداً انني اوضحت نفسي بما فيه الكفاية. انا لا انوي ان اكون وفياً لك. كنت اعرف ان لدى فتاة الثلج التي تزوجتها عفة وعذرية تكفينا معاً».

«هل كنت تظن انني سأتغاضى عن علاقة غرامية تقوم على بعد



امتار مني؟ كنت اعرف اي نوع من الرجال انت، ولم اطلب منك الا ان تكون كتوماً. ولكنه يبدو انك غير قادر حتى على ذلك!».

«انك لا تعرفين ماذا تقولين، يا اليزا. انصحك بانهاء هذا الحديث الآن قبل ان افقد صبري وهدوئي».

بدا من لهجته انه يمارس على نفسه اقصى درجات السيطرة على الاعصاب. ولكنها تجاهلت تحذيره ونظرات الانذار في عينيه، وقالت:

«هل تعتقد بانني انسانة غبية لا ترى ولا تسمع، ولا تعرف ماذا يجري امامها وحولها؟ هل يمكنك ان تنفي مثلاً انك كنت تضمها وتقبلها قرب المعمل؟ اعرف انك تقوم عادة بكافة الأعمال الكتابية في البيت. فما الذي جعلك تغير هذه العادة؟ رينيه؟».

«هذا يكفي، يا اليزا!».

«حقاً؟ وما هي الوسيلة التي ستخرسني بها، يا سيد ستيوارت؟».

وجه اليها نظرات يتطاير الشرر منها ففزعت قليلاً. . . ولكنها حافظت على رباطة جأشها وظلت تنظر اليه بسخرية وتحد. قال لها بحدة:

«اعتقد انك تريدين ان افرض نفسي عليك، كي تقنعي عقلك الصغير بصحة جميع هذه الأمور السيئة».

ثم ابتسم بخبث ودهاء، ومضى الى القول:

«تعرفين ايضاً انني لست على وشك الصفح عنك. لديك من العنفوان والكبرياء ما يفوق المطلوب، كما انك تعطين نفسك اهمية لا تستحقينها. يبدو انك بحاجة للترويض والتدجين».

توترت اعصابها بقوة عندما شعرت بانها تراقب وحشاً ضارياً على وشك الانقضاض على فريسته. استدارت نحو المنزل وبدأت تسير باتجاهه، كي تترك تهديده معلقاً في الهواء. لكنها احست بيده القوية تضغط بعنف على معصمها. رفعت يدها الأخرى لتخليص ذراعها من قبضته الحديدية، فامسك بها. لم تتحرك او تحاول المقاومة، آملة

في ان يؤدي هذا الاسلوب الجديد الى اقناعه بعد استخدام القوة معها.

نجحت خطتها. . . وشعرت بعد لحظات وجيزة بانه خفف الضغط الى درجة كبيرة. حاولت على الفور ان تتملص منه، وتراجعت الى الوراء متعثرة الخطى. تصورت انها نجحت، ولكنه امسك بها ثانية وجذبها اليه بعنف. استخدمت كل قوتها للافلات منه. وعندما بدأت تقتنع بعدم جدوى محاولاتها، تركها زاكاري بصورة مفاجئة. . . ففقدت توازنها ووقعت في الوحل. تأملت نفسها بألم وغضب فائقين، وصرخت به:

«يمكنني ان اقتلك بسبب هذا الأمر، يا زاكاري سيتوارت!».

انزلقت قدماها مرتين عندما حاولت النهوض، وكانت تحدق به في كل مرة مستغربة تمنعه عن مد يد المساعدة اليها. ولما نجحت في المرة الثالثة وبدأت تسير نحو البيت، وهي مغطاة بالوحل من رأسها حتى قدميها، كانت كريستين واقفة قرب زاكاري وتنظر اليها بدهشة وذهول. وسمعت زاكاري يقول لها بمرح ظاهر:

«توجد في الجانب الخلفي للبيت، وقرب المطبخ، غرفة للغسيل. يمكنك ان تنظفي نفسك هناك».

سألتها كريستين هامسة:

«ماذا جرى؟».

تطلعت اليزا نحوها وكأنها لا تراها، فشعرت الصغيرة بأن اختها لن تجيبها. سارت غاضبة نحو البيت فيما كانت تسمع كريستين وزاكاري يتسامران ويضحكان. فكرت بدخول المنزل من الباب الرئيسي، كي تلطخ ارضه النظيفة البراقة بالوحل. ولكنها رفضت بانفة ان تنزل الى هذا المستوى الصغير الذي لا يليق بها، مع انها كانت تتلهف للانتقام ولرد الكيل كيلين. توجهت الى الباب الخلفي، فشاهدتها نورا ونظرت اليها بفزع وذهول. رفعت رأسها بشموخ وقالت لها:



«ارشديني الى غرفة الغسيل، كي اتمكن من تنظيف نفسي، ثم احضري لي بعض المناشف. واريدك بعد ذلك ان تحضري لي من غرفتي العباءة الزرقاء وخفين مناسبين».

هزت نورا رأسها بصمت ثم ارشدتها الى غرفة الغسيل، وهي تنظر اليها وكأنها لا تصدق عينيها. عادت بعد قليل، ومعها مناشف بيضاء وقميص من القطن الناعم. بدأت اليزا تخلع قميصها، ولكنها توقفت عن ذلك خوفاً من تلطيخ شعرها بالوحل. دخلت كريستين في تلك اللحظة وقالت لها، وهي تضع يدها على فمها لاخفاء ضحكها:

«قال زاكاري انك بحاجة لقليل من مستحضر تنظيف الشعر».

«كريستين، سوف. . .».

لم تمض في تهديدها، فاطلقت كريستين ضحكة عالية وقالت ببراءة:

«كيف يمكنني الا اضحك؟ منظرك مضحك للغاية».

تأملت اليزا نفسها ثم ابتسمت باستسلام، بعد ان اعترفت لنفسها بأن منظرها مضحك فعلاً. تنهدت بعد لحظات وجيزة، وقالت بهدوء مرح:

«حسناً، ايتها القطة الخبيثة! اخرجي حالاً! يجب ان اخلع ثيابي قبل ان يجف هذا الوحل ويصبح كقالب يصعب كسره».

ضحكت كريستين مرة اخرى وغادرت الغرفة بلا تردد. سارعت اليزا الى خلع ملابسها واخذت حماماً. دخلت كريستين بعد قليل، فيما كانت اليزا تحاول تجفيف شعرها الطويل الأشقر.

«يفترض بي ان ابلغك بان العشاء جاهز بمجرد انتهائك من عملية التنظيف هذه. قال زاكاري انك لست مضطرة لارتداء اجمل ثيابك، لأن العشاء سيكون وجبة خفيفة متواضعة».

طلبت منها اليزا ان تبلغ زاكاري بانها ستخرج خلال دقائق معدودة. وما ان اغلقت الفتاة الباب وراءها، حتى بدأت اليزا

بتوجيه كلمات جارحة الى الرجل المتغطرس. يطلب منها الا تهتم كثيراً بمنظرها وثيابها! ومتى اهتم بذلك قبلاً؟ وقررت اليزا على الفور محاربته بالسلاح ذاته... باللامبالاة. صممت على الا تتابع تجفيف شعرها والا تضع شيئاً على وجهها او عينيها او شفتيها. وقالت لنفسها باستهزاء ان عليها الاسراع في الخروج من تلك الغرفة لأن... السيد... يجب الا ينتظر طويلاً.

دخلت اليزا قاعة الطعام، فابلغتها مدبرة المنزل بان العشاء جاهز على احدى طاولات الحديقة. فتحت الباب المؤدي الى الشرفة، فشاهدت زاكاري منحنياً لاصلاح عجلة العربة الصغيرة التي تستخدمها كريستين عندما تلعب دور الأم للعبتها الجميلة. استغربت اليزا ان يهتم رجل قاس مثل زاكاري ستيوارت باشياء صغيرة وتافهة كهذه. اصلح العجلة ورفع كريستين بحماسة وحنان الى كتفه، فحصل فوراً على المكافأة المطلوبة... قبلة محبة وامتنان.

لعبت اليزا بقبضة الباب، كي يصدر عن ذلك صوت يلفت الانتباه. اغلقت الباب وراءها بطريقة اقوى من المعتاد، وذلك للهدف نفسه. كانت تأمل في ان يؤدي الاعلان عن دخولها الى انهاء ذلك المشهد العاطفي، الذي لا تريده ان يتكرر. ولكنها كانت غلطة، اذ ظل زاكاري رافعاً الطفلة الصغيرة وبقيت كريستين متعلقة برأسه. كانا ينظران اليها بمرح ضمني، وكأنهما على وشك الانفجار ضحكاً. قال زاكاري لصديقته الصغيرة، فيما كان ينزلها بهدوء ورقة الى الأرض:

«اختك هنا. يبدو انه اصبح بامكاننا تناول العشاء، يا برتقالتي».

رفعت الصغيرة رأسها نحوه وسألته بدهشة يغلب عليها السرور:

«لماذا وصفتني بالبرتقالة؟».

داعب شعرها بحنان وقال:

«لأنك صغيرة مثل البرتقالة وطيبة ايضاً مثلها».

ثم نظر الى اليزا وقال:



«والعشاء الليلة هو حسب رغبة الاخت الصغيرة... شرائح من لحم البقر، قطع من البطاطا المقلية، سلطة اللفت والكرنب، بالإضافة الى المرطبات والحلوى. انها وجبة تثير شهية اكبر متذوق للأكل!».

امسكت كريستين بذراع اليزا وجذبتها بحماس نحو الطاولة قائلة:

«لدينا ايضاً مجموعة كبيرة من المقبلات والمخللات التي يمكن اضافتها الى شرائح اللحم. تعالي وانظري!».

شاهدت اليزا نظرات زاكاري الخبيثة، التي كانت تقول لها بوضوح انها تبدو سليمة معافاة على الرغم من وقوعها على ذلك الشكل المضحك في الوحل. تمنت من صميم قلبها ان تكشف له عن مدى سخطها من موقفه اللامبالي والبعيد كل البعد عن الذوق والتهذيب. ولكنها علمت ان اي ملاحظة كهذه سيواجهها باحتقار وازدراء جارحين. قررت ان تتجاهله، وان تتصرف كأن شيئاً لم يحدث. حولت اهتمامها كله الى اختها فتمتعت بطعامها. شبعت الفتاة الصغيرة قبلها، فتركتهما وحدهما واسرعت الى عربتها الصغيرة وراحت تدفعها امامها حول المنزل.

قدم زاكاري سيجارة الى زوجته بصمت. اخذتها منه بهدوء دون ان تشكره. اشعلها لها ثم اشعل اخرى لنفسه. هدأ الهواء تماماً، ولم يعد يسمع حولهما سوى زقزقة العصافير. شعرت اليزا بان سكون الليل ساعدها كثيراً على اراحة اعصابها والتخفيف من حدة غضبها.

وسمعته يقول لها فجأة، وبصوت ناعم:

«امسيات الصيف الهادئة هذه هي اجمل اوقات السنة، واكثرها رقة وشاعرية».

ثم نظر اليها بسرعة، وكأنه يعتذر عن انتهاكه حرمة الهدوء والسكينة، ومضى يقول:

«يجب ان ترتاحي جيداً قبل حلول موسم القطاف، لأنك لن

تصدقي الصخب والضجيج اللذين سيحدثان ويعكران مثل هذه الأجواء الهادئة».

تمتمت اليزا بصوت خافت:

«انك رجل غريب الأطوار».

«هل انا حقاً كما تقولين؟».

كان يبتسم وينظر اليها متفحصاً مستفسراً، ولكنها شعرت بانه مهتم بالجواب الذي ستعطيه.

«تبدو لي وكأنك من الاشخاص الذين لا يملكون او يديرون البساتين ومعامل العصير، الا بهدف الهواية او التسلية».

اشعل سيجارة اخرى وسألها باهتمام:

«من اي نوع تصنفينني يا اليزا؟».

«اراك كرجل اعمال تشتغل في المضاربات وبالصفقات المالية والتجارية المعقدة، وتستغل الآخرين كي ينفذوا اوامرك وتعليماتك. تبدو لي صورتك كصاحب بساتين ومعمل صغير كأنها مشوهة او في غير مكانها الصحيح. يصعب علي كثيراً ان اتخيلك قانعاً بما تمليه عليك الأرض، والشمس، والرياح. لماذا لم تتبع خطى والدك، وتبدأ من حيث انتهى؟».

«صحيح ان والدي كان رجلاً هاماً وقوياً وذا نفوذ، ولكن الأمر الذي لا تعرفينه هو انه وصل الى ما وصل اليها تلبية لرغبة امي ومشيئتها. كانت اسعد فترات حياته تلك التي كان يمضيها هنا... في بساتين ستيوارت. كان بستاناً صغيراً فيه معمل تافه من غرفة واحدة، عندما اشتراه ابي. حلم بأن تصبح لديه بساتين ضخمة ومعامل حديثة تنتج افخر انواع العصير، بكميات كبيرة يمكن توزيعها في جميع انحاء البلاد. لا توجد سعادة دائمة في الهيمنة على الآخرين واستغلالهم، ولكن تحدي الطبيعة يمكن تحمله... ولو بصعوبة».

ابتسم بزهو وكأنه شخص راشد يتحدث الى طفلة، او رجل واع



يشرح لفتاة جاهلة. تضايقت اليزا من هذا التصرف المتعجرف، وسألته بحدة:

«لماذا، اذن، تحاول الهيمنة علي؟».

اجابها بصوت ناعم لم تصحبه سخريته المعتادة:

«كل ما افعله هو التأكد من عدم سيطرتك انت علي، يا اليزا. ويؤسفني جداً انك تحاولين ذلك منذ اللقاء الأول».

شعرت بانقباض شديد من جراء لهجته الهادئة والصريحة. قامت من مكانها ومشت نحو شجرة سنديان ضخمة في آخر الحديقة. نعم، انها تحاول دائماً وباستمرار ان تجرّبه لتعرف اذا بامكانها الهيمنة عليه. لماذا لا يكون ضعيفاً كالآخرين، ويقبل بسيطرتها عليه؟ حدقت في السماء الأرجوانية الصافية، وهي تشعر بان زاكاري اصبح على بعد خطوات منها. استدارت نحوه ونظرت اليه بعينين متضايقتين، فقال لها:

«تبدين الآن حساسة وسريعة التأثر الى درجة مذهلة، كما تبدين اصغر سناً واكثر براءة... بهذا الشعر الجميل الذي يغطي كتفيك، وبهذا الوجه النظيف الخالي من مستحضرات التجميل التي لا تحتاجين اليها».

احست اليزا بانها فعلاً لم تعد خصمة امامه كعادتها. لم تعرف كيف تواجه هذه الطيبة والرقة. خافت عندما شعرت بان بعض دفاعاتها بدأت تنهار. ادارت له ظهرها بسرعة وتطلعت نحو السماء والقمر المنير. تسللت اصابعه تحت خصلات شعرها وراحت تدلك عضلات رقبتها المشدودة، ثم قال لها:

«تحاولين جاهدة ان تكوني قوية ومعتمدة على نفسك. تجمعين شعرك في كومة صغيرة فوق رأسك، وتغطين وجهك بمساحيق متطورة ومتنوعة، وتتركين قلبك في ثلاجة باردة مظلمة. انك تحملين العالم وهمومه على كتفيك».

كان صوته ناعماً ومداعباً... واستغربت جداً انها وجدت همسه

مزعجاً للاعصاب بشكل مذهل. اغمضت عينيها وتمنت لو انه يقف عند هذا الحد، ولكنه مضى الى القول:

«تتحملين وحدك مسؤولية رعاية كرستين وتربيتها، وترفضين المساعدة من الجميع. ألم تكن لديك ابداً اي رغبة في ان يهتم بك احد ويرعاك؟».

طبعاً! طبعاً! هكذا صرخت مشاعرها واحاسيسها، ولكنها لم تتمكن من الاعتراف له بذلك. تنهدت بصمت وقالت له كلاماً اقرب ما يكون الى هذا الاعتراف:

«تساءلت مراراً عديدة عن ابي وعن شخصيته. هل كان طيباً ورقيقاً، ام قوياً وشديد البأس! كنت طفلة صغيرة عندما توفي، وتزوجت امي اكثر من مرة بعد ذلك».

لم تنتبه الى الاسترخاء في كتفيها، او الى الحقيقة المذهلة والفريدة... وهي انها كانت تسند نفسها بارتياح الى صدر زاكاري العريض وجسمه القوي، فيما كانت يداه تداعبان كتفيها. حلقت افكارها الى سماء بعيدة... امتزج سكون الليل مع التدليك الحنون والصوت الناعم الدافىء، فحلقت احلامها مع افكارها. لم تعرف والدها، ولم تتمتع بحنانه وعطفه وحمايته.

ما اروع ان يكون للطفل اب يحبه ويرعاه، ويكون دائماً بجانبه كلما احتاج اليه! ما اروع ان يجد الانسان شخصاً يحبه حباً صادقاً، وليس بسبب جماله او موهبته او ثروته! اعادها زاكاري الى الارض عندما قال لها بصوت قوي ناعم:

«اتركي عالم احلامك، يا اليزا. لم يكن والدك مثال العفة والطهارة او نموذج الفضيلة والصلاح. كلنا من تراب هذه الارض. الم يكن ممكناً ان يصبح والدك لو لم يمت، عنوان الخيبة ورمز الفشل».

ابتعدت عنه بسرعة وكأن حية سامة لدغتها قرب قلبها. ثم استدارت نحوه صارخة:



«كيف يمكنك ان تقول مثل هذا الكلام! هل تعرفه؟ هل تعرف شخصيته وطباعه؟».

«لا، وانت ايضاً لا تعرفينه».

تأملها بجدية، ثم قال:

«انت امرأة جميلة وجذابة جداً. اردت ان اتأكد فقط من انك لا تخلطين بين المحبة الأبوية واهتمام رجل آخر بك. لم يلد بعد ذلك الرجل الذي يمكنه ان ينظر اليك، وليس في عقله سوى اهتمام ابوي بك. حتى انا، لا يمكنني ذلك».

انتفضت اليزا بعصبية وقالت:

«انك مغرور، ومتغطرس، وابن...!».

عضت على شفتها بعنف كيلا تخرج من فمها تلك الكلمة الجارحة، ولكنها قالت:

«هل تتصوّر انني بلغت الرابعة والعشرين من عمري دون ان اتعلم هذا الدرس!».

«اني مسرور للغاية، لأني اكره كثيراً ان اراك تمزجين احلامك بالحقيقة والواقع».

ارادت ان تقول شيئاً، ولكن نورا نادته من الداخل قائلة:

«زاكاري، لديك مكالمة هاتفية».

قالت له بازدراء:

«لا اشك في انها رينيه. هل فاتكما موعد آخر؟».

«قلت لك سابقاً انك لا تعرفين ماذا تقولين او توحين به. ولكن بما انك لا تصدقين كلامي، فاني اصرّ على ان تحتفظي بآرائك لنفسك!».

هزت كتفيها استخفافاً، عندما نظر اليها بعينين منذرتين متوعدتين. تردد زاكاري بالتوجه فوراً الى الداخل، وكأنه يريد انهاء جداله معها. ولكنه ادار لها ظهره فجأة، وتوجه نحو البيت. عاد بعد دقائق ليخبرها بان المكالمة كانت من والدته. ثم اضاف بلهجة

ساخرة ان امه ستحضر بالسيارة من سان فرانسيسكو بعد اسبوع كي تتناول معهما العشاء، وتتعرف على زوجة ابنها.

انهى رسالته وهمّ بالذهاب، فسألته بصورة عفوية:

«الى اين ستذهب الآن؟».

نظر اليها ملياً واكتفى بالقول:

«سوف اعود في وقت لاحق هذه الليلة».

كانت الساعة بلغت الواحدة بعد منتصف الليل، عندما سمعت اليزا صوت محرّك سيارة وعلمت ان زاكاري عاد الى البيت. لم تنم ولم يغمض لها جفن رغم محاولاتها المتكررة. لم تتمكن من التركيز على ايّ من الكتب التي حملتها معها الى غرفتها. كانت مستلقية في فراشها... تنتظر عودة زوجها. سمعته يصعد الدرج، فارتاح بالها قليلاً. وعندما سمعت باب غرفته يفتح ويغلق، اغمضت عينيها ونامت خلال لحظات وجيزة... نوماً عميقاً لم تتخلله ايّ احلام.

كانت كريستين في الاسبوع التالي شقية جداً، وتطالب اليزا بأمور مختلفة ومتعددة. تسللت من البيت اكثر من مرة وذهبت الى المعمل، على الرغم من اوامر اختها الصريحة بعدم الذهاب. تجاهلت تأنيب اليزا المتواصل، وكانت تخبرها بعد كل مرة تذهب فيها الى المعمل عما يجري هناك من اعمال مختلفة.

حسدتها اليزا الى حدّ ما، لأنها قادرة على الترويح عن نفسها... بعكس اختها. ولكنها لم تتمكن من ايجاد وسيلة ناجحة لمنعها عن مغادرة المنزل، كما انها فشلت في التخفيف من عنادها وتصرّفاتها المزعجة.

تدخّل زاكاري في احدى الامسيات وأمر كريستين بالذهاب الى غرفتها. ظلت اليزا صامتة بعض الوقت، فيما كانت اختها تصرخ وتضرب الارض بقدميها. ثم احتجت بشدة على تدخله، ولكنه اصرّ على موقفه قائلاً انه سيتولى تربية الطفلة بنفسه اذا كانت هي غير قادرة على ذلك. افهمها تلك الليلة بانه لن يسمح لطفلة في السابعة



من عمرها ان تتحكم ببيته، وان تحصل على كل ما تريد.

كانت اليزا تعرف انه على حق، ولكنها رفضت بقوة الاعتراف بذلك. دلّلت كريستين كثيراً، وحاولت جاهدة ان تنسيها العذاب النفسي الناجم عن فقدها والديها. اعترض زاكاري على هذا الاندفاع العاطفي الذي لن يؤدي في النهاية الا الى نتائج سيئة. قال لها ان الاطفال يتجاوبون مع واقعهم الجديد اكثر من الكبار، وان بامكانهم التأقلم بسرعة اكبر مع التغييرات التي تطرأ على حياتهم. الا ان موقف كريستين نفسها كان اصعب على اليزا من مواقف زاكاري كلها.

صعدت مرّة الى غرفتها، بعد ان وصلت في جدالها مع زاكاري الى طريق مسدود. كانت الصغيرة تردد صلواتها المسائية، استعداداً للنوم. سمعتها اليزا تطلب من الله العلي القدير ان يبارك امها واباها الموجودين في السماء، وان يبلغهما حبها واشتياقها. ثم انهت صلاتها بالقول:

«بارك يا ربي اليزا، وبارك زاكاري».

كانت تلك المرّة الاولى التي سمعتها فيها اليزا تذكر اسم زاكاري في صلواتها. سألتها برقة وحنان، وهي تحاول اخفاء حشريتها:

«ما زلت غاضبة من زاكاري؟».

«لا، ابداً. لم يغضبني مرّة واحدة من قبل. ولكني اتساءل عما اذا كان يتحمّلني بسببك انت، ام لأنه فعلا يحبني!».

قطبت اليزا حاجبيها باستغراب وسألتها:

«كيف عرفت ذلك؟ ألانه امرك بالذهاب فوراً الى غرفتك؟».

صعدت كريستين الى سريرها وغطّت نفسها جيداً، قبل ان تبتسم وتجيب اختها ببساطة وبراءة:

«نعم. فالانسان لا يغضب من احد او يصرخ بوجهه ما لم يكن يحبه».

شعرت اليزا انها اكتفت بهذا الايضاح لأنه منطقي الى حدّ ما...

مع ان من الصعب جداً تطبيقه في حالات اخرى. ولكنها تساءلت اذا كان عليها ان تحلل مشاعرها وموقفها انطلاقاً من هذا المبدأ... على الرغم من انها تكره هذا الموضوع وكل شيء يتعلّق به.

وجدت اليزا صعوبة كبيرة يوم الأحد باختيار الملابس التي سترتديها اثناء العشاء مع والدة زاكاري. اخرجت نصف ملابسها ووضعتها على السرير. وبعد اكثر من ساعة تقريباً، اختارت ما تريد وأعادت الباقي الى مكانه. وما ان انتهت من ارتداء الملابس الجميلة حتى سمعت طرقة خفيفة على باب غرفتها. تأففت قليلا قبل ان تعطي السماح للطارق بالدخول. كانت تظن انها كريستين، التي لم تكن تتطلع قدماً الى هذا اليوم. ولكن الطارق لم يكن كريستين، بل زاكاري. بدا جذاباً ووسيماً للغاية بسترته الصيفية البنية الفاتحة. وقف في الباب وقال لها بهدوء:

«اقترحت الآن لكريستين بان تتناول العشاء في المطبخ مع نورا. انها صغيرة جداً لحضور عشاء شبه رسمي كهذا».

اجابته اليزا، وهي تتجاهل نظراته التي تتأملها عبر المرآة:

«ستكون مسرورة جداً لذلك».

مشى ببطء نحوها، ثم مدّ يده الى جيب سترته واخرج علبة صغيرة سوداء. فتح العلبة واخرج منها خاتماً رائعاً. امسك بيدها اليسرى والبسها الخاتم. نظرت اليه باستغراب، فقال لها موضحاً:

«يتوقع الناس ان يشاهدوا اكثر من مجرّد سوار ذهبي. كان يجدر بي ان اختار لك اللون الأزرق لانه يناسب طبيعتك، ولكني قررت اختيار خاتم يشعّ بالنار التي تفتقدينها».

كانت السخرية اللاذعة واضحة في صوته وابتسامته الخفيفة. تطلعت اليه اليزا ببرود وقالت

«انه جميل جداً. ولكنك لم تكن مضطراً للذهاب الى هذا الحدّ لمجرّد المحافظة على المظاهر».

ازدادت ابتسامته اتساعاً وخبثاً، وقال:



«هل تصدقين انني اشتريت لك هذا الخاتم من مالي انا؟».

تجاهلت اليزا سؤاله اللاذع، وركزت على جملته السابقة التي ذكر في مستهلها كلمة الناس.

سألته بهدوء:

«ماذا كنت تعني عندما قلت ان... الناس... يتوقعون ان يشاهدوا خاتم خطوبة؟».

«الم اخبرك؟ تقيم أمي مع عائلة غوتيار، لانهم اقرب جيرانها. ولذلك قررت دعوتهم ايضاً، لكي نوفر على انفسنا مشقة اقامة حفلة تعارف في المستقبل».

ثم ابتسم واضاف قائلا:

«دعوت ايضاً كلا من بول وقريبك مايكل، واعتقد ان هذا الأمر سيسرّك».

«اشكرك لأنك ابلغتني بذلك مسبقاً».

قالتها بتحدّ وعصبية، فيما كانت تمدّ يدها الى طاولتها الصغيرة وتأخذ منها احمر الشفاه. اضافت كمية اخرى الى شفتيها، وقالت:

«آمل الاّ تكون عازماً على القيام بأي من حركاتك الودية والعاطفية أمام ضيوفنا».

«لنقل أنني سأتصرف كزوج مثالي، طالما انك انت تتصرفين كزوجة مثالية. لن اكون جامداً معك، ولكنني اعدك بانني لن ابالغ في مغازلتك امامهم».

نظرت اليه ببرود محاولة اخفاء انفعالها من جراء ابتسامته الساخرة. ثم سألته بخبث مماثل:

«ومتى ستصل هذه الحاشية؟».

«خلال نصف ساعة او ساعة على ابعد تقدير. هل ستنزلين معي كي نستقبلها معاً، ام انك تنوين الدخول بعظمة مع دقات الطبول بعد وصولهم؟».

توترت اعصابها لحظة بسبب كلماته القارصة، ولكنها ابتسمت له

بدهاء وقالت:

«ساكون بالطبع الى جانب زوجي».

إبتسم بتلك الطريقة التي تذكرها دائماً بالقطط المتوحشة، وقال:

«اني سعيد لسماعي هذه الكلمات. لم اكن ابداً راغباً في بدء اي شجار بسبب اصراري على وجودك معي».

كان مايكل أول القادمين. وتأمل الاناقة والجمال باعجاب واضح، ثم قال لقريبته هامساً:

«كيف تجري الأمور مع السيدة المتزوجة؟ يبدو انه يتعبك قليلاً، اليس كذلك؟».

ضحكت اليزا وهي تشاهد تلك الابتسامة الخفيفة التي كانت تتحدّاها وتذكّرها بانه هو الذي حذّرها من قساوة زاكاري وبطشه. كانت تأمل في ان يؤدي عدم انفعالها الى الغاء تلك الفكرة السخيفة من رأسه، والتي توحي بوضوح ان حربها مع زاكاري تميل لجانب الزوج القوي. دق الباب، ففتحه زاكاري ورافق القادم الجديد... بول... الى القاعة التي كان يجلس فيها مايكل واليزا. وما ان اعطاه كوباً من عصير الليمون الجديد، حتى طرق الباب مرة اخرى. مرت دقائق عدة هذه المرّة، قبل ان يعود زاكاري الى القاعة.

اخفت اليزا توترها وراء ابتسامة عريضة عندما شاهدت شخصين مسنّين يدخلان قبله، بينما كانت الى جانبه امرأة شابة جميلة. كانت قصيرة القامة ونحيلة القدّ، وترتدي فستاناً انيقاً يظهر جمال شعرها الكستنائي. لاحظت اليزا لدى اقترابهم، ان هذه الامرأة ليست صغيرة السن كما يوحي بذلك منظرها عن بعد. عرّفهم زاكاري بالزوجين، لويس وايستل غونزار ثم امسك بذراع الشابة وقال:

«ابنتهما، رينيه».

احست اليزا بان ملامحها توترت عندما مدت يدها لمصافحة رينيه، ولكن توترها كان بسيطاً جداً بالمقارنة مع ما ظهر في عيني الضيفة. لم تتمكن اليزا من ارغام نفسها على عدم تفحص هذه



الشابة، التي تجتمع سراً مع زوجها. شعرها اسود وطويل وعيناها بنيتان، جفناها طبيعيان وجميلان، انفها صغير، وشفتاها ممتلئتان وتضجان بالرغبة. ولكنها اقصر منها بما لا يقل عن عشرة سنتيمترات تمتمت رينيه بحماسة مصطنعة انها مسرورة بلقاء زوجة زاكاري. عند ذلك، اقترب زاكاري مع امه وعرّف السيدتين، اللتين اصبحتا تحملان الاسم ذاته، على بعضهما. لاحظ نظرات اليزا الباردة تجاه والدته، كما لاحظت هي ان الأم تنظر اليها باهتمام... ولكن بجفاف. كان انطباعها الأول ان امه اصيبت بخيبة أمل.

«كنت اتطلع قدماً للتعرّف اليك، يا سيدة ستيوارت».

تمكنت اليزا ان تقول هذه الجملة بتهذيب وتأدب. وادركت ان مايكل لاحظ تبادل النظرات العدائية بين قريبته ورينيه، وانه وجد ذلك امراً مسلياً. انتبهت اليزا ايضاً انه يتلهّف لايجاد مقعد قرب رينيه. ضحكت السيدة ستيوارت بشكل ازعج اليزا، عندما قالت لها رداً على كلمتها المهذبة:

«وانا ايضاً كنت اتشوّق لمقابلة الفتاة التي تمكّنت من اختطاف ابني دون سابق انذار. كان يعرف طبعاً انني اريد حفلة زواج ضخمة. ولكنك تعرفين كيف ينظر الرجال الى مثل هذه الأمور. انهم يتوقون دائماً لتجنبها او الانتهاء منها بسرعة».

ثم تطلعت نحو ابنها وقالت له:

«زاكاري، اعطني كوباً من العصير ثم اذهب للتحدث مع لويس عن شؤون المعمل... كما تفعل دائماً».

هز زاكاري رأسه كولد مطيع وتوجّه لاحضار ابريق من انتاجه الجديد، الذي يفخر به كثيراً. لاحظت اليزا باهتمام كبير حب السيطرة والتسلط الذي اورثته السيدة ستيوارت لابنها، وبخاصة عندما اصرّت عليها ان تجلس قربها وتتحدث معها. عاد زاكاري ومعه الابريق والكوب. انتظر حتى شربت امه جرعة واثنت على جودة الانتاج، ثم ذهب ليجلس قرب لويس وبول. انتبهت اليزا

بسرعة الى ان رينيه جلست على حافة مقعد والدها، كي تكون قريبة من زاكاري. نظرت اليه بعينين باردتين، فابتسم بدهاء وبدأ يتحدث مع لويس. وفي اثناء ذلك، كان مايكل يحاول عبثاً جذب انتباه رينيه. وفجأة، قطعت السيدة ستيوارت حبل الصمت وسألتها بهدوء:

«فهمت ان لديك ابنة، اليس كذلك».

«ابنة؟ لا، يا سيدة ستيوارت. انها اختي الصغرى، كريستين، التي تعيش معنا. والدانا متوفيان».

تظاهرت السيدة بانها توجّه اليها ابتسامة رقيقة وحلوة، وقالت:

«اوه، انه لأمر مؤسف بالنسبة لزاكاري. . . وبالنسبة اليك انت ايضاً، يا عزيزتي. كنت اعني ان من المؤسف لكما ان تباشرا على الفور تحمل مسؤوليات عائلية».

ردت عليها اليزا بلهجة اكثر حدة مما كانت تعتزم:

«لدى كريستين الكثير من المال في احد المصارف، وبالتالي فانها لا تشكل اي عبء مالي بالنسبة الينا».

«ومن له حق التصرف بهذا المال قبل ان تبلغ الصغيرة السن القانونية؟».

اجابتها اليزا ببرودة قاسية:

«انا، يا سيدة ستيوارت».

«عظيم. هل تعرفين ان بعض المحامين ومديري المصارف يكرنون احياناً دون شفقة او رحمة بالنسبة الى احتياجات الاطفال؟».

كانت ام زاكاري تبتسم بشكل اثار حفيظة اليزا، وجعلها تطبق فمها كيلا توجه اليها كلاماً قاسياً ولاذعاً. وعادت الوالدة الى الكلام:

«اصبت بصدمة قوية عندما اتصل بي زاكاري وابلغني انه تزوج، ولكنني الآن، بعد ان شاهدتك وتعرفت اليك، فهمت سبب انجذابه اليك بهذه السرعة. انك جميلة جداً».



ردت عليها اليزا بكلمات كادت ان تغصّ بها:

«شكراً. انه لاطراء رائع عندما يصدر عن الحماة».

«انت لست تماماً من النوع الذي كنت اتوقعه من زاكاري. كنت اتخيّله دائماً يختار فتاة ذات شعر اسود وعينين سوداوين مثله. ومع ان لونك الباهت يناسبه الى درجة كبيرة، الا انني كنت اظن دائماً ان تشابه الالوان يعطي الزوجين بهاء ورونقاً. فمثلاً، انت وبول تناسبان بعضكما جيداً. . .».

جذب الصوت المرتفع نسبياً انتباه زاكاري، فنظر بسرعة نحو اليزا التي بدأت تملّ من هذه الاحاديث السخيفة. ولكن حماتها كانت، على ما يبدو، مصممة على مواصلة الحديث. ابتسمت لها بطريقة توحي بانها تمحضها ثقتها، وقالت:

«يجب ان اعترف لك بان آل غوتيار وانا كنا نشعر بان زاكاري ورينيه سوف يتزوجان.

هل تعرفين انه زواج مثالي! لديهم بساتين مجاورة لبساتيننا، كما ان اسم غوتيار معروف ويحظى باحترام واسع النطاق في جميع انحاء كاليفورنيا. المسكين لويس طاعن في السن، وليس لديه من يرثه سوى رينيه. كان زاكاري ورينيه يبدوان معجبين ببعضهما الى درجة كبيرة، وشعرنا بان الزواج هو الخطوة الصحيحة بالنسبة اليهما. كان زواجهما سيسعدنا كثيراً . . . ولكن ذلك كان قبل مجيئك انت، ايتها العزيزة».

تساءلت اليزا ضمناً عما سيكون عليه رد فعل السيدة ستيوارت فيما لو علمت ان ابنها ورينيه لا يزالان معجبين كثيراً ببعضهما. وماذا ستقول هذه السيدة المتعجرفة لو اكتشفت ان زاكاري تزوج اليزا لأجل المال؟ ربما لن تتأثر السيدة ستيوارت بهذا الامر على الاطلاق، لأن الذي يهمها هو المركز الاجتماعي وليس المال. وقررت اليزا ان ترد على ملاحظتها الواضحة بانها كانت تفضل زوجة اخرى لابنها، فقالت:

واعتقد انني اسعدت زاكاري الى حد كبير خلال هذه الفترة القصيرة لزواجنا».

وضعت السيدة يدها بحنان مصطنع على يد اليزا، وقالت:

«انا متأكدة من ذلك. ولكني اتمنى لو انني التقيتك قبل الآن. الا ان ابني اصر على ان تمضيا بعض الوقت بمفردكما قبل ان تتعرفي على امه المستبدة الظالمة».

ضحكت مرة اخرى بالطريقة ذاتها التي تثير اعصاب اليزا، فما كان منها الا ان اخرجت سيجارة واشعلتها بشيء من العصبية. لمعت الياقوتة الكبيرة والماسات المحيطة بها على ضوء القداحة، فقالت السيدة ستيوارت بدهشة:

«اوه، هل هذا هو خاتمك! يبدو ان لابني ذوقاً رفيعاً للغاية!».

«دعيني اراه!».

وقفت رينيه واتجهت نحو اليزا والسيدة ستيوارت. امسكت يدها الناعمة والرقيقة باصابع اليزا، ورفعتها نحو وجهها كي تلقي نظرة فاحصة على الخاتم. شهقت بصوت عالٍ، ثم وجّهت نظرة خاصة الى زاكاري وقالت:

«ياقوتة! اوه، انها الاحجار الكريمة المفضّلة لديّ!».

احست اليزا بغضب عارم ورغبة جامحة في نزع الخاتم من اصبعها ورميه في وجه الفتاة الاخرى. ولكنها ابتسمت بدهاء وشكرت رينيه بتهذيب، فيما كانت عيناها تتفحصان ملامح زاكاري وتعابير وجهه.

«انه لأمر مستغرب ان يختار زاكاري ياقوتة لخاتم خطوبتك. فاللون الأحمر لا يناسبك ابداً. اتصوّر ان الحجر الأزرق يتمشى اكثر مع لون عينيك وبشرتك».

«اخطأ كثيرون قبلك، يا آنسة، فيما يتعلق بالأمور التي تناسبني، ولكنهم تراجعوا جميعاً في اوقات لاحقة عن تقديراتهم الخاطئة واعترفوا بذلك».

لم تحاول اليزا ابداً ان تخفي الخبث والسخرية في صوتها، وفي



نظراتها الفولاذية الباردة التي وجهتها الى رينيه. وقررت في تلك اللحظة ان تواجه رينيه بكل ما لديها من قوة وعنف، فيما لو حاولت الاخرى محاربتها او التصدي لها، ولكن زاكاري تدخل منادياً امه واليزا قائلاً لهما ان العشاء جاهز. قدّم ذراعاً لكل منهما وابتسم. اليزا بطريقة بدت للآخرين انها عنوان المحبة والحنان. ولكن اليزا فهمت التحذير الكامن في تلك الابتسامة.

تصدّر زاكاري الطاولة وجلست اليزا في الطرف المقابل. وسرّت كثيراً عندما شاهدت امه تجلس الى يساره. لن تتحمّل منها بعد الآن هذه الهجمات القاسية التي تغلفها بكلمات ناعمة ورقيقة. ولكن... لماذا تشعر بالغضب بسبب جلوس رينيه الى يمينه؟ انها تداعبه بنظرات حالمة لا تخفى على احد! مسكين مايكل! انه يجلس الى يمين رينيه، ويحاول منافسة زاكاري على الصدارة من حيث اهتمام رينيه وانتباهها. وقررت اليزا على الفور ان تتجاهل زاكاري وصديقته، وتلهي نفسها بالتحدث مع لويس غوتيار وزوجته اللذين كانا يجلسان الى جانبها. بدت ايستل غوتيار انسانة لطيفة المعشر الى درجة فائقة، مما ساعد اليزا على التخفيف من غضبها وحدة توترها. وكان بول يجلس بين السيدتين المسنتين، ويتحدّث معهما باسلوبه الساحر المعتاد.

بدأ الجميع يتناولون طعام العشاء، وبدأت اليزا تمارس تجنبها المتعمّد لنظرات زاكاري. ولكنها لم تتمكن من سدّ اذنيها عن سماع صوته الخافت والموسيقي وهو يتحدّث الى رينيه. لم تكن في صوته اي سخرية، ولم تحمل نبرته ايّ خبث او دهاء. كان لطيفاً وساحراً وبادي الاهتمام... بعكس تصرفاته معها، التي تتسم بالاحتقار والاستهزاء.

عندما احضرت وجبة الطعام الرئيسية سكب زاكاري للجميع من قناني الانتاج الجديد. رفع لويس كوبه نحو الضوء وتفحصه جيداً، ثم شمّه وتذوقه بهدوء وتمعّن. هز رأسه بارتياح ظاهر، وقال

لزاكاري :

«لذيذ، متقن. . . نعم، انه جيد».

ثم التفت نحو اليزا وسألها:

«كيف تجدينه انت، يا سيدة ستيوارت؟».

«انه طيّب المذاق، ولكنني لست خبيرة في هذا المجال».

«آه، ولكنك ستتعلمين. سوف يتولّى زاكاري هذه المهمة. هل تجولت في بساتين البرتقال والمعمل؟».

هزت رأسها نفياً، فنظر الى زاكاري مؤنباً وقال:

«سيحين موعد القطاف قريباً، وبالتالي فلن تتمكن من مرافقتها في مثل هذه الجولات التفقدية».

وجّه لها زاكاري ابتسامة خبيثة، قبل ان يجيب لويس قائلا:

«عندما نكون معاً، تكون افكارنا منهمكة بأمور أخرى غير البرتقال وعصيره».

ضحك لويس وقال:

«يبدو ان افكار مزارعنا الجديد تتركز على عروسه ذات الشعر الأشقر، وليس على ليمونه وبرتقاله الأخضر والأصفر».

ثم تطلّع نحو اليزا ثانية وقال لها باسماً:

«يحسن بك ان تتعلمي كل شيء عن الليمون والبرتقال وانواع العصير التي تستخرج منها، وذلك لكي تعرفي كيف يمضي زوجك وقته. يجب ان تعرفي بعض الأمور عن تاريخ هذه المنطقة وتقاليدها. حضر ابي الى هنا مع ابيه في عام ١٨٩١، واحضروا معهما غرسات واغصاناً من الليمون والبرتقال وطعّما بها الاشجار الموجودة هنا. كانت التربة غنية والطقس رائعاً، ولكن كان عليهما ان يحميا اشجارهما من الأمراض والحشرات الضارّة. انتجا انواعاً مختلفة وجيدة من العصير، ولكنهما لم يكتفيا بذلك. فعندما بلغت الخامسة والعشرين من عمري، ارسلني والدي الى فرنسا. . . حيث امضيت في بساتين ابن عمي ومعامله خمس سنوات بكاملها، كي اتعلّم كافة



الأساليب المطلوبة واصبح مزارعاً جيداً ومتمرساً. وهناك التقيت ايستل الحبيبة!».

نظر الى زوجته بمحبة وحنان، ثم مضى الى القول:

«توفي جدي وابي منذ زمن بعيد، ولكن البساتين لا تزال موجودة. بدأنا بمئة الف متر مربع، واصبح لدينا الآن كيلومتران مربعان. كنت سأشتري هذه البساتين، ولكني اصبحت رجلا مسناً ولم تجد لي ابنتي بعد صهراً جيداً يمكنني الاعتماد عليه».

ضحكت رينيه وقالت لوالدها، بعد ان نظرت الى زاكاري بخبث واضح:

«من تبقّى لي الآن، يا ابي، بعد ان اختطف زاكاري من بين يدي؟».

توترت اعصاب اليزا عندما شاهدت نظرات زوجها الثاقبة تتأملها بتمعن وهدوء بالغين. هز لويس رأسه وقال:

«تمنيت كثيراً لو ان لديّ ابناً مثل زاكاري».

ثم نظر اليه، ومضى الى القول:

«انت رجل قويّ وطموح، وستصبح لديك يوماً باذن الله اجمل البساتين واروعها. لن تضطر بعد سنوات قليلة الى بيع اي من انتاجك الى معامل التعبئة الاخرى، لأنك ستصبح قادرا على تعبئة انتاجك كلّه في معاملك الخاصة».

«لن ابيع هذه السنة الا القليل. اشتريت آلات تعبئة حديثة وصلت في الاسبوع الماضي».

ظهر سرور حقيقي على وجه لويس لدى سماعه النبأ، وسأله بلهفة:

«من اي نوع هي، وكيف شكلها؟».

شرح له زاكاري المعلومات المطلوبة بايجاز فقال الرجل المسن باسماً:

«يجب ان تريني اياها بعد العشاء مباشرة».

رد له زاكاري الابتسامة بالمثل، ثم حوّل نظراته الى زوجته. عرفت اخيراً اين وكيف انفق المال الذي اعطته له. كانت تتوق لمعرفة ذلك منذ اليوم الأول لوصولها الى هذا البيت الجميل، ومشاهدتها اثاثه الفخم الرائع. بدا الارتياح على وجهها، فتطلّع اليها بعينين ساخرتين من تشككها وانعدام ثقتها به. تجنبت نظراته بتحويل انتباهها الى السيدة غوتيار، السيدة الطيبة الهادئة التي لا تتحدث كثيراً.

اقترب منها مايكل بعد العشاء وراح يحدثها بسخرية لاذعة عن الخاتم الثمين الذي ابتاعه لها زاكاري... من مالها. قال لها ضاحكاً:

«انك تحاولين جاهدة ان تظهري هذا الزواج المهزلة بانه حقيقي. اؤكد لك، يا عزيزتي، ان هذا الخاتم لن يبعد رينيه اطلاقاً. انها شابة مغرية... وتريد زاكاري لنفسها».

ردت عليه بلهجة قوية وبادية الانزعاج:

«انت تعرف جيداً ان هذا الزواج لم يكن ابداً نتيجة حب او هيام».

«ومع ذلك، كان الاستياء واضحاً في وجهك وعينيك من طريقة تبادلها الاحاديث اثناء العشاء».

اجابته بسخرية مماثلة، وهي تحاول ابقاء صوتها منخفضاً الى ادنى درجة ممكنة:

«وانت ايضاً، ايها العزيز. اليست المنافسة قوية جداً، بالنسبة اليك؟».

«ربما، يا قريبتي العزيزة، ربما!».

ابتسم لها باستهزاء، ثم سار نحو رينيه. تبادل الرجال بعض الاحاديث الودية مع السيدات، قبل ان يعتذر زاكاري ويصطحب لويس وبول ومايكل الى المعمل. وبمجرد ذهابهم، سيطرت السيدة ستيوارت ورينيه على مجرى الأحاديث بحيث انها ازعجتا اليزا الى



درجة لا تطاق. جلست صامتة قرب السيدة غوتيار، مستغربة كيف ان هذه السيدة قادرة على تحمل تجاهلها الواضح من قبل ابنتها وصديقتها. ولكن اهتمام ايستل غوتيار كان مركزاً على رينيه، وكأنه تعجب من الفارق الكبير بين شخصيتيهما.

وجدت اليزا نفسها تنظر بين الحين والآخر الى ساعة الحائط، وتتمنى انتهاء هذه الحفلة المزعجة باسرع وقت ممكن. واستغربت عندما تبيّن لها انها تتمنى حتى عودة زاكاري كي يملأ الجو بنشاطه وحيويته... ويخرس هاتين السيدتين المملتين. ولكنه لم يعد، ولم تتوقف الثرثارتان عن الحديث المزعج! وعندما لاحظت انها بدأت تغرز اظافرها في راحة يدها، قررت انه لم يعد بامكانها تحمل المزيد. اعتذرت بلباقة وتوجهت الى غرفتها.

تخلّت عن برودتها المصطنعة وهي تحدّق غاضبة في المرآة. احمرّت وجنتاها حنقاً وغيظاً لأن زاكاري قرر اقامة هذه الحفلة. لا شك في انه يعرف امه وتصرفاتها الثقيلة، ومن المؤكد انه احضر رينيه دون سابق انذار للامعان في اذلال زوجته. نظرت الى زجاجة العطر الثمين والنادر، فاكتشفت فجأة بأنها تكره هذا العطر... لأن رينيه تستخدمه! اخذت الزجاجة وافرغت محتوياتها في الحمام بعصبية بالغة. عبق الجو بتلك الرائحة القوية، فضحكت اليزا لأنها على الأرجح اول شخص يستخدم اغلى العطور في العالم على هذا الشكل. وتساءلت بعد عودتها الى الغرفة عن الوقت الذي يمكنها ان تمضيه بعيداً عن الضيوف، دون ان يعتبر ذلك خرقاً فاضحاً لأبسط قواعد الضيافة واصولها! لو لم يكن في اصرارها على البقاء ايّ اعتراف بالهزيمة للسيدة ستيوارت ورينيه على حدّ سواء، لما كانت ستعود الى القاعة اطلاقاً. لن تسمح لها عزة نفسها الاقرار بانتصارهما عليها. اضافت لمسة من احمر الشفاه وتذكّرت ان مايكل كان يقول لها دائماً انها تطلي نفسها بطلاء الحرب! يا لصحة هذا الكلام في مثل هذه الحال! انها فعلاً الحرب!

«اوه، هذا ما تفعلينه اذن!».

استدارت اليزا بسرعة، لتشاهد رينيه واقفة في باب غرفتها وتعلو وجهها ابتسامة لعينة. دخلت الضيفة دون استئذان، وتابعت حديثها بتحدٍّ ظاهر:

«قررت ان اهتم قليلا بوجهي وعينيّ وشعري، قبل ان يعود الرجال».

اخفت اليزا استغرابها بسرعة ثم ابتسمت ببرودة ترحيباً برينيه وتمتمت قائلة:

«اشك كثيراً في ان الرجال سيلاحظون ايّ تغييرات نقوم بها».

«انت مخطئة، فزاكاري سيلاحظ. انه دائماً هكذا».

اغاظتها تلك اللهجة الدافئة التي ظهرت جلياً في صوت رينيه، فسارعت الى القول:

«حقاً؟ يمكنك اذن ان تخبريني المزيد عن هذه الامور الصغيرة التي لا اعرفها عنه».

كانت تأمل ان يصيب سهم خبثها وسخريتها هدفه، وقد حصل لها ما كانت ترجوه. نظرت اليها رينيه بعنف، وكأن المعركة الحقيقية بدأت بينهما، وقالت:

«نعم، يا عزيزتي، يمكنني ذلك. فثمة علاقة وطيدة وحميمة الى ابعد درجة تربط بيننا منذ زمن طويل. وكما كان يقول مراراً، اننا من طبيعة واحدة وطينة واحدة».

ردت عليها اليزا بقساوة، قائلة:

«وهذا هو، على الأرجح، سبب ملله منك والابتعاد عنك».

اصفرّ وجه رينيه قليلا، قبل ان تتصاعد الدماء الى وجنتيها، وسألتها بهدوء قاتل:

«هل هذه غرفتك؟».

هزت اليزا رأسها ايجاباً. وهي تظنّ ان رينيه تحاول تغيير الموضوع الاّ انها اخطأت في تقديراتها، اذ سمعتها تقول لها بلهجة جارحة



حاقدة:

«يا للغرابة! كنت اتوقعك في غرفة النوم الرئيسية، قريبة من زاكاري. لماذا تنامان في غرفتين بعيدتين؟ هل ضجر منك بمثل هذه السرعة؟».

سمعت الشابتان صوتاً يقول:

«يمكنني انا ان اجيب على هذا السؤال».

التفتت اليزا بسرعة نحو الباب، وقالت بدهشة:

«كريستين! ماذا تفعلين هنا؟».

«احببت ان القي نظرة على الساهرين واجواء حفلتهم، وقالت لي السيدة ذات الشعر الأسود والفستان الأزرق انك هنا».

اكتفت كريستين بهذا القدر من الاجابة لأختها، وتحوّلت نحو رينيه قائلة:

«انا اعرف لماذا لا ينامان في الغرفة ذاتها».

تدخلت اليزا بسرعة وقالت:

«كريستين! يجب الا تتحدثي عن امور كهذه!».

ابتسمت رينيه وقالت:

«دعي الصغيرة تتكلم. انه لموضوع مثير حقاً!».

تحدثت كريستين بلهجة قوية وحازمة، قائلة:

«سألت زاكاري صباح احد الايام عن سبب اختياركما غرفتين منفصلتين متباعدتين، بعكس امي وابي اللذين كانا ينامان معاً في غرفة واحدة».

ثم ابتسمت بخبث بريء واضافت:

«هل تعرفان ماذا اجابني؟ قال لي ان اليزا تشخر بصوت عال جداً يحرمه من النوم!».

شاهدت اليزا نظرة الزهو والانتصار في عيني رينيه، قبل ان تمسك بكتفي اختها لاخراجها من الغرفة. سألتها كريستين ببساطة وبراءة:

«هل يمكنني ان انام معك مرّة، يا اليزا، كي اسمعك

تشعرين؟».

اجابتها اليزا بلهجة حادة الى حدّ ما:

«لا. اذهبي الآن الى غرفتك واستعدي للنوم».

ضحكت رينيه بعد خروج كريستين، وقالت:

«يبدو انني لم اكن الشخص الوحيد الذي لاحظ ترتيبات النوم المستغربة، هذه. انها فعلاً غريبة بالنسبة الى عروسين يفترض انهما يمضيان... شهر العسل».

«انها مسألة خاصة بيننا، يا آنسة».

ابعدت وجهها عنها، لأنها لم تعد قادرة على صدّ هذا الهجوم العنيف. ولكن رينيه لم تدعها وشأنها، بل ضحكت وسألتها بسخرية:

«هل تتوقعين ان تكوني قادرة على الاحتفاظ به، عندما يكون بعيداً عنك على هذا الشكل؟ لربما استخدمت معه هذا الاسلوب كي تحمليه على الزواج منك. ولكن عليك ان تلتصقي به وتقدمي له نفسك، ايتها العزيزة، والا فانك ستفقدينه».

اخرجت اليزا سيجارة من علبتها، وهي تأمل الا ترتجف يدها وتكشف البعد الذي وصلت اليه مضايقة رينيه لها. وقالت بهدوء:

«وانت ستكونين جاهزة لاصطياده، اليس كذلك؟».

حركت رينيه رأسها بكبرياء، وقالت بلهجة الواثق من نفسه:

«يمكنك ان تراهني على ذلك! انه رجل قوي ونشيط وعاطفي، وانا اعرف كيف ارضيه واسعده. لاحظت بلا شك الطريقة التي نظر بها اليّ اليوم. تأكدي بانه يتذكّر الكثير مما جرى بيننا، واعدك بانني سأذكّره بالمزيد».

سألتها اليزا ببرودة اعصاب مزعجة:

«اليس من الخطر عليك ان تكشفي خططك على هذا الشكل امام العدو؟».



ضحكت رينيه باستهزاء وقالت:

«لا خطر اطلاقاً معك، ايتها العزيزة. انك جميلة جداً، ولكنك جامدة وباردة كتمثال من المرمر. قد تكون لديك المواصفات المطلوبة للاحتفاظ به، ولكنك بالتأكيد لا تعرفين استخدامها».

«قد لا اعرف كيف ارقص واهز خصري باثارة واغراء امام الرجل، او كيف اشبع غروره بنفسه وارتمي بخنوع امامه ولكنني لن اتحمّل مغازلتك له امامي. اذا كنت تظنين ولو لدقيقة واحدة بانني سأسمح لك باختطاف زوجي مني دون اي مقاومة، فانت مخطئة الى درجة كبيرة!».

لم تغضب اليزا مرة في حياتها مثل الآن. فتحت رينيه فمها لتقول شيئاً، فسارعت الى اخراسها بالقول:

«لن تكون هناك بعد الآن اجتماعات سرّية اخرى او مكالمات هاتفية حميمة! لن اسمح لك ابداً بعد الآن بدخول هذا البيت، ايتها...».

«اليزا!».

سمعت صوت زاكاري القوي وراءها، فاستدارت نحوه رغماً عنها. خفّ غضبها قليلا عندما نظرت اليه... والى عينيه اللتين كانتا تشعان ببريق خاطف. ثم نظر الى رينيه، فاحست بان الرقة والنعومة في نظراته حلّتا محلّ الجمرتين المتقدتين. تطلعت نحو رينيه، فذهلت عندما شاهدت دمعتين تتدحرجان على خدّيها. ادركت اليزا انها اخطأت في تصوّرها بان رينيه ممثلة رديئة. قال زاكاري للشابة السمراء بهدوء مخيف:

«اعذرينا، يا رينيه، اريد ان نكون على انفراد لبعض الوقت».

ردت هامسة:

«انا آسفة، يا زاكاري. لم اتصوّر ابداً بان امراً كهذا سيحصل».

عاد غضب اليزا الى ذروته، فيما كانت تراقب رينيه وهي تغادر

الغرفة. خرجت رينيه واغلقت الباب وراءها، فتطلع زاكاري نحو زوجته وقال لها بهدوء:

«انت مصابة بصداع، يا اليزا».

اذهلتها هذه الجملة الغريبة، فسألته باستغراب:

«ماذا تعني؟».

ارتفع صوته قليلاً، وهو يقول لها بلهجة قوية وحازمة:

«انت لست على ما يرام، ويتحتم عليك بالتالي ان تلازمي غرفتك».

اصطدمت نظراتها القاسية ببعضها كالبرق، وقالت له بعصبية بالغة:

«انك على حق، الى حدٍّ ما. فانا مصابة بصداع قويٍّ جداً! مصابة بصداع ناجم عن اضطراري لعدم الرد على ملاحظات امك العدائية والقاسية، ولسماعي التمنيات بزواجك من رينيه، وللاجابة على اسئلة صديقتك السمراء عن عادات نومنا واسباب اختيارنا غرفتين متباعدتين!».

ثم صرخت بصوت عال، قائلة:

«نعم انا مريضة، واشعر بالغثيان من كل ما يجري حولي!».

«اعرف تماماً ان بامكان امي ان تغيظك جداً، ولكن لم يكن ثمة داع ابداً لدعوة رينيه الى غرفتك. انت تسببت في اي كلام قالته لك».

«انا لم اطلب منها ان تصعد الى هنا! اقتحمت غرفتي دون استئذان، وتصرّفت معي كأنها سيدة البيت... وسيدة صاحبه ايضاً».

«لا اسمح لك بالتحدث عنها على هذا الشكل».

«لا تسمح لي بذلك! اوه، يا للفروسية والشهامة! تدافع عن عشيقتك وليس عن زوجتك! وماذا عني انا؟ الم تلاحظ كيف حاولت



اذلالي امامها! هل كان من المفترض بي ان اقف خانعة فيما انت تطلب منها مغادرة الغرفة، كي تؤدبني على انفراد لأنني قلت الحقيقة؟».

«تصوّرت انك ستحاولين هذا اليوم على الأقل ان تكوني مهذّبة وتتصرفي بلياقة مع ضيوفي. انت تعرفين ان ثمة صداقة قوية جداً تربط بين عائلتي غوتيار وستيوارت منذ زمن بعيد، واتوقّع منك ان تعاملي كافة افراد العائلة باحترام».

«وكيف يفترض برينيه ان تعاملني انا؟ ام لا قواعد معينة للطريقة التي يفترض بالعشيقات اتّباعها».

توترت عضلات وجهه بشدة وتطاير الشرر من عينيه، قبل ان يقول لها:

«اريدك ان تبقي هنا في هذه الغرفة فيما اذهب الى ضيوفنا وابلغهم بانك مريضة».

«لن ابقى هنا واقرّ بالهزيمة لتلك الساقطة الصغيرة!».

هجم عليها بسرعة وامسك بكتفيها، ثم راح يهزها بعنف وهو يقول لها:

«وانا لن اتحمّل وقاحتك واهاناتك. تطلبين احترامك كزوجة، وترفضين بالتالي القيام بواجبات الزوجة. ولكنني قادر على تغيير ذلك، يا عزيزتي».

ضمها بقوة الى صدره.

حدقت به اليزا، حاولت جاهدة التخلص منه، ولكنه امسك بشعرها ولوى رأسها بقسوة جعلتها تفقد القدرة على الحركة. عانقها بوحشية لا تعرف الشفقة او الرحمة. وعندما احست بانها تكاد تختنق... تركها، وابعدها عنه. رفعت يدها الى شفتيها المتورمتين والمتشققتين لتمسح عنها آثار الاذلال والاحتقار.

اخرج منديله ومسح فمه بدوره من احمر الشفاه، ثم قال متمتماً بصوت اجش:

«ابقي هنا، والا علمتك بعض الواجبات الزوجية الاخرى!».

امسكت اليزا قنينة العطر الفارغة ورمتها عليه بكل قوتها. كان يغلق الباب وراءه في تلك اللحظة، فارتطمت بالباب كقنبلة وتحطمت شر تحطيم.



## ٤ - زيارة المعمل

اخذت اليزا قفازين بيضاوين لتلبسهما، ونادت اختها:

«هل انت جاهزة، يا كريستين؟».

اعادت القفازين الى مكانهما، لأنها لم تتمكن من ادخال يدها اليسرى باحدهما بسبب خاتمها الكبير. دخلت كريستين وهي ترقص بلهفة وحماسة، وقالت:

«انا مستعدة! اوه، اسرعي بحق السماء!».

ضحكت اليزا بمحبة، قائلة:

«لن تباشري دراستك اليوم. سنكتفي بتسجيلك في المدرسة».

ولكن يدها الصغيرة امسكت بذراع اليزا وجذبتها الى الخارج.

كان زاكاري يراقب قدومها صامتاً. حدقت به اليزا مستغربة، لأنها

لم تتوقع وجوده في مثل هذه الساعة. تركتها كريستين وهرعت نحوه، وهي تسأل بلهفة:

«وهل انت مستعد ايضاً، يا زاكاري؟».

نظرت اليه اليزا بمزيج من الذهول وعدم الثقة، وسألته:

«هل ستذهب معنا؟».

ردت عليها كريستين، وهي تمسك بيد زاكاري وتجذبه نحو الخارج:

«سنذهب اليوم كعائلة. هل جهزت كل شيء يا زاكاري؟».

هز لها برأسه، ولكن خطواته لم تكن سريعة كما تريدها. . . فتركتها وركضت نحو السيارة المتوقفة امام الباب. نظرت اليه اليزا بحيرة وسألته بخبث:

«هل هذه كل الاشياء التي طلبتها منك كريستين؟».

اجابها بهدوء دون ان ينظر اليها الا لحظة:

«سنقوم بنزهة بعد تسجيل كريستين في المدرسة. سيبدأ القطاف في الاسبوع المقبل، ومع بدء الدراسة. وكما قالت لي كريستين، انها المرة الوحيدة التي يمكننا فيها القيام بأي شيء كعائلة».

«يؤسفني جداً انك وعدتها بذلك».

«لا يهم. انها فتاة طيبة غير معقدة، وليست لديها لحسن الحظ قساوة اختها وبرودتها. انت ضحيت كثيراً لأجلها حتى الآن، ومن المؤكد انك قادرة على تحمل بضع ساعات اضافية».

تأملته ببرود. . . لو كان بامكانها فقط ان تتأكد من ان هذه النزهة هي حقاً لأجل كريستين. لم يكن لديها اي شك ان اختها هي صاحبة الفكرة، ولكن السؤال الكبير هو سبب موافقة زاكاري على طلبها. . . وهو الذي يتجاهل زوجته بشكل تام تقريباً منذ تلك الحفلة المأساة. وصلا الى السيارة فسألها عن جوابها. تنهدت بقوة، وقالت له:

«تركت كل شيء حتى اللحظة الأخيرة، ولم يعد امامي اي خيار



سوى القبول. اليس كذلك؟».

«هل يغيظك ذلك ويثير اعصابك؟».

ردت عليه ايجاباً، ولكن بصوت منخفض لئلا تسمعها كريستين.

ابتسم زاكاري بدهاء وهو يغلق باب السيارة. كانت الصغيرة تجلس في المقعد الخلفي. . . وتتحدث طوال الوقت. ولما وصلوا الى المدرسة، سبقتهما كريستين مسرعة نحو الداخل. قال زاكاري بصوت خافت:

«اعتقد اننا راشدان بما فيه الكفاية لكي نضع مشاعرنا الخاصة جانباً، ونمنح كريستين وقتاً ممتعاً لا تشوبه الخلافات او تعكر صفوه المشاكل».

«انا على استعداد تام للقيام بذلك من اجلها. اذا تمكنت انت من اخفاء سخريتك وامتنعت عن توجيه الملاحظات اللاذعة، فلن يكون لدي اي سبب للانتقام او للرد بعنف».

فتح زاكاري باب المدرسة، وقال لها باسماً:

«انها هدنة اذن. من يدري، فقد نفاجىء بعضنا ونتمتع نحن انفسنا بهذه النزهة!»

انهى الثلاثة معاملات التسجيل ودفع الرسوم المطلوبة، وعادوا بسرعة الى السيارة ليتوجهوا الى المكان الذي حدده زاكاري لنزهتهم. كانت منطقة صخرية رائعة، تتوسطها مطحنة قديمة. قال لها زاكاري انها تدعى مطحنة بابل لأن الطبيب ادوارد بابل بناها لرواد الوادي الأوائل. بدأت كريستين تركض في تلك المنطقة الشاسعة، قائلة انها ستجد المكان المناسب لجلوسهم وتناولهم الطعام الخفيف الذي يحملونه. وفجأة، زلت قدم اليزا على صخرة صغيرة ناعمة وكادت تهوي على الأرض. امسكها زاكاري بسرعة وضمها الى صدره قائلاً:

«هل انت بخير؟».

كانت تمسك بذراعيه بكل قوتها، لتحافظ توازنها. احست بنبضه

تحت اصابعها، فضحكت وقالت له بصوت ضعيف:

«نعم، شكراً. اعتقد ان خفقان قلبك ينافس دقات قلبي من حيث السرعة».

«وربما لأنني فوجئت بك تتعلقين بي بمثل هذه القوة. هل تعرفين انك امرأة جميلة وجذابة ومغرية جداً، اذا وضعت قناع الثلج هذا جانباً؟».

تركته بسرعة وقالت له بصوت ناعم يشوبه بعض الارتعاش:

«وبامكانك انت ايضاً ان تظهر اهتماماً مذهلاً، عندما يناسبك ذلك».

«الأفضل لنا ان نحاول اللحاق بكريستين».

سارا جنباً الى جنب وهو يضع ذراعه على خصرها. لم تحاول الابتعاد عنه، تجنباً لسماع اي ملاحظات قاسية او جمل خبيثة لاذعة. كان الجو هادئاً للغاية، والمكان جميلاً جداً. وشعرت اليزا ان من العار تشويه الرحلة بجدالهما او بمشاكساتهما. كما انها ارادت لكريستين ان تمضي وقتاً طيباً لا يعكره شيء. وسمعته يقول:

«اني معجب جداً باصرارك على الاحتفاظ باختك. لا اعتقد ان اي امرأة اخرى لها جمالك وثروتك تفعل الشيء ذاته، وبخاصة تجاه اخت من والد آخر واصغر منها الى هذه الدرجة. هل فكرت بما سيكون عليه مستقبلك، يا اليزا؟».

«هل تحاول الايحاء بانها عالة علي؟ انا لا اقوم حقاً باي تضحية عظيمة، اذ لا يجوز تسمية عمل كهذا تضحية عندما تقوم به لأجل شخص تحبه».

نظرت اليه وهي تتوقع ان تجد ابتسامة ساخرة على وجهه، ولكنها فوجئت بانه ينظر اليها باهتمام حقيقي وجدي. مضت الى القول:

«اعرف انني اكرر كلام اشخاص آخرين، عندما اقول انني اريدها ان تنمو وتكبر بطريقة مختلفة عني. اريدها ان تشعر بالاطمئنان والحماية، وبانني سأكون دائماً قربها عندما تحتاج الي...



لأنني احبها».

«كيف كانت طفولتك انت؟».

«صف طويل من المعجبين بامي ومن ازواجها».

ثم ضحكت وقالت بلهجة ارادتها ان تكون مرحة، مع انها اتسمت بالحزن والمرارة:

«اعتقد انها نسيت اسم ابي في اواخر ايامها».

«يبدو ان هذا هو سبب كرهك لجنس الرجال».

«لا. اعتقد ان السبب الاساسي يعود الى عدم اقتناعي بوجود حب حقيقي بين افراد الجنسين. اظن بان المغناطيس الذي يجذب الرجل والمرأة الى بعضهما هو تلك الرغبة الحيوانية لاشباع الرغبات».

«ولهذا وضعت مغناطيسك في الثلاجة، اليس كذلك؟ الحب موجود وقائم، يا اليزا. وآمل من صميم قلبي في ان تكتشفيه يوماً بنفسك».

«تتحدث عن هذا الأمر وكأنك متأكد من وجوده كحقيقة وواقع».

«هل تجدين صعوبة في التصديق بأن هناك حباً في هذا العالم، وبانني انا مثلاً واقع في الحب؟».

حدقت به، وهي تحاول سبر اغواره واكتشاف السبب الذي جعلها تراه مختلفاً جداً عن السابق. احنت رأسها واغمضت عينيها، ثم قالت:

«لا اجد صعوبة في الاقتناع بانك تريد ريتيه. انا متأكدة من انك تجدها جميلة جداً».

«ها انت مرة ثانية، تستخدمين كلمة «تريد» عوضاً عن كلمة تحب».

«انهما كلمة واحدة، من حيث الاسلوب والنتيجة».

«عندما تحتاجين الى شخص لأنك تحبينه، فهذا هو الحب. انك

تقولين عكس ذلك... يحب الانسان شخصاً لأنه بحاجة اليه. هذان موضوعان مختلفان تماماً، يا اليزا. ارى انك لا تصدقين، وانك على وشك الدخول معي في جدال قوي حول هذه المسألة. ولذلك، فاني اقترح التحول الى موضوع آخر، لأن هذه النزهة مخصصة اصلاً لاسعاد كريستين ولأننا اتفقنا على قيام هدنة فيما بيننا».

وافقت اليزا بتردد... انه يؤمن فعلاً بما قاله لها. واكثر من ذلك، انه لم يستخدم معها اي خبث او دهاء. كان صادقاً... و...

«زاكاري! هل تعتقد ان نورا ستهيء لي طعامي كي احمله معي في سيارة المدرسة كبقية الصغار؟».

«اعتقد ان معظم الصغار يتناولون طعامهم في مطعم المدرسة. ولكني متأكد من انها ستقوم ببعض الترتيبات مع السيدة مارش، اذا كنت حقاً راغبة في ذلك».

تدخلت اليزا قائلة:

«لا اعتقد ان كريستين بحاجة لاستخدام سيارة المدرسة، لأنني انا قادرة على اخذها واعادتها».

«لا، يا اليزا، لا اريد ان اكون مختلفة عن بقية الصغار. اريد مرافقتهم في سيارة المدرسة».

علق زاكاري على كلامها، قائلاً:

«اعتقد انها نقطة يجب اخذها بعين الاعتبار، يا اليزا».

«حسناً، يا حبيبتي، يمكنك ذلك».

انتهى الجميع من تناول طعامهم، فركضت كريستين نحو المطحنة لتفحصها عن كثب. جمعت اليزا كافة الأغراض ووضعتها في صندوق السيارة، فيما استلقى زاكاري على الأرض مغمض العينين.

«انا مسرور لأنك سمحت لكريستين باستخدام سيارة المدرسة.



فمن شأن ذلك ان يساعدها على التأقلم مع جو المدرسة واقامة صداقات مع بقية التلاميذ».

«آمل في ذلك. ولكني اتمنى في الوقت ذاته الا تتعلق كثيراً باصدقائها الجدد، لأنها ستجد صعوبة بالغة عندما تضطر للابتعاد عنهم في نهاية العام الدراسي».

«انها ليست مضطرة للذهاب».

«ماذا تعني بذلك؟ انت تعرف جيداً اننا سنجري معاملات الطلاق في نهاية العام ونغادر بالتالي وادي نابا».

«صحيح انك ستغادرين بيتي، ولكنك لست مضطرة لمغادرة هذه المنطقة. اعتقد انك ستبقين، اذا كانت كريستين مرتاحة وسعيدة هنا».

شعرت اليزا بوضوح مذهل انها لن تتمكن ابداً من البقاء في منطقة واحدة معه، بمجرد طلاقهما. ولكنها هزت رأسها بان الاحتمال وارد، واخذت منه السيجارة التي اشعلها لها. احست بدفء عقبها لأنها كانت بين شفتيه وتذكرت مغازلاته القاسية والعنيفة التي اذلتها وآلمتها. كانت الذكرى جلية لدرجة انها حطمت الهدنة القائمة بينهما. ولاحظت اليزا ان زاكاري قرأ افكارها، لأنه قام من مكانه وتوجه نحو المطحنة لاحضار كريستين.

تعكر الجو الصافي... والهدوء المخيم عليهما، وغابت السكينة التي غلفتهما لبعض الوقت... وعادت الكراهية وروح العداء تسيطران مرة اخرى!

مضت الأسابيع القليلة الأولى في نهاية الصيف ببطء شديد، وكان كل يوم يبدو اطول من سابقه. كان الصباح يضج حياة ونشاطاً قبل ان تركض كريستين نحو سيارة المدرسة، ثم تمر ساعات النهار متثاقلة ومتكاسلة ومملة... الى ان تعود الأخت الصغرى في فترة ما بعد الظهر.

بدأ موسم القطاف واخذت البساتين تعج بالعمال والآليات.

يستيقظ زاكاري في الصباح الباكر جداً، ويصل الى البساتين قبل العمال ثم يبقى لفترة طويلة بعد ذهابهم. كانت اليزا وكريستين تتناولان طعام العشاء قبل عودته، والفطور بعد خروجه. لم يكن ينضم اليها في قاعة الجلوس الا نادراً. وكان يمضي تلك الأوقات القليلة والقصيرة صامتاً يقرأ صحيفة او كتاباً، ثم يعتذر منها ويدخل الى غرفة المكتب لينكب على بعض الأعمال الكتابية والحسابية.

وكانت تسمع بين الحين والآخر اصوات حوافر حصان، وتعلم ان الشخص الوحيد الذي يركب الخيل في تلك المنطقة الصغيرة هو... رينيه. لم يتحدث زاكاري عنها مرة واحدة، ولم يذكر اطلاقاً لزوجته عن حضورها او ذهابها. لم تكن تتوقعه ان يفعل ذلك، لأنه يعرف شعورها تجاه تلك الفتاة. ولكنها كانت تشعر بالحنق والاستياء، لأنه لا يزال يلتقي بها... متحدياً زوجته بصورة علنية.

حملها انعدام النشاط وعدم رغبتها في ملاقاة رينيه صدفة في الخارج، على الانزواء داخل البيت. فرضت مساعدتها على مدبرة المنزل، متحججة بان نورا ترهق نفسها بالعمل. وخلال ايام قليلة، اخذت اليزا على عاتقها مسؤوليات عدة في البيت. اصبحت تعنى بترتيب الاسرة، وتنظيف المفروشات والأرض... واي شيء اخر يساعدها على قتل الفراغ المؤلم.

حملت يوماً سترة لزاكاري وصلت لتوها من التنظيف، واخذتها الى غرفة النوم الرئيسية التي ينام فيها. تأملت تلك الغرفة الفسيحة باعجاب بالغ، وتذكرت انها احبتها منذ اليوم الأول لمشاهدتها اياها. شعرت وهي ترتب تلك الغرفة بشيء من الغيرة والحسد، لأنه خصصها لنفسه دون سواه. وارتعش جسمها فجأة عندما لاحظت ان بامكانها مشاطرته تلك الغرفة... كزوجة! لا... ستكتفي بترتيبها له، وبالاعجاب بها عن بعد. اما الغرفة المجاورة... اوه، انها تحبها كثيراً! وقفت في وسطها وتأملتها بمزيج من السرور والأسى. انها اصغر من ان تكون غرفة نوم، واكبر من غرفة



للملابس. جدرانها متسخة... وكذلك اثاثها. انها مهملة جداً، و... اوه! شهقت اليزا بصوت مرتفع... انها غرفة حضانة! نعم، غرفة لطفل رضيع يجب ان يكون قريباً من والديه! ضمت السترة بين ذراعيها، واحنت رأسها قليلاً. لامست اطراف السترة وجهها، فابتعدت عنها بعصبية... وكأن الرجل موجود في داخلها، ثم ضحكت استهزاء من تصرفها الأرعن. داعبت خدها بجزء من تلك السترة، وراحت تتخيل الزوجات اللواتي يداعبن ازواجهن وستراتهم... ويحلمن بعاطفة سخيفة وغباء واضح بوجود الاطفال! ابتسمت بارتياح لأنها ليست من هذا النوع من النساء!

«اتساءل منذ بعض الوقت كم سيطول حلم اليقظة هذا. تبدين مرتاحة لدرجة انني متضايق من اضطراري لازعاجك».

«ماذا تفعل هنا؟ اليس من المفترض ان تكون الآن في المعمل؟».

«يجب ان اذهب الى السوق لشراء بعض قطع الغيار، وقررت بالتالي ان استحم واستبدل ثيابي قبل ذلك. والسؤال الأهم هو... ماذا تفعلين انت هنا؟».

«اتيت لأضع لك سترتك في مكانها. احضرتها نورا من التنظيف هذا الصباح».

اشار الى الغرفة الرئيسية، وقال بهدوء:

«خزانة ملابسي هناك».

«اعرف. اتيت الى تلك الغرفة مرات عديدة».

رفع حاجبيه بخبث واضح عندما سألها قائلاً:

«حقاً؟».

«احضر الى الغرفة لترتيبها، لا اكثر ولا اقل».

حوّل نظره عن وجنتيها اللتين احمرتا حياء، الى ذراعيها ويديها

كادت ترميها ارضاً، وهي تحاول ابعادها عنها. استجمعت قواها بعض الشيء، وقالت له بشيء من الحدة:

«سأعلقها لك في مكانها، اذا حدت عن طريقي وتركتني اخرج من هذه الغرفة».

«تفضلي. اهلاً وسهلاً».

نظرت اليه بتردد، متمنية لو انه يبتعد كلياً عن الباب. تظاهرت بالبرود وسارت نحو الغرفة الاخرى ولكنه سد الباب بذراعه ومنعها من الخروج.

«هل تسمح لي بالمرور؟».

وضع ذراعه الاخرى وراءها كي يمنعها من التراجع، وسألها بهدوء:

«بماذا كنت تفكرين قبل قليل، عندما كنت تقفين وسط الغرفة غارقة في احلام اليقظة؟».

«اذا كنت تريد حقيقة ان تعرف ماذا كان يجول في خاطري، فقد كنت اتصورها بعد تغيير اثاثها».

«هل تعرفين انها بنيت كغرفة حضانة؟».

ردت عليه بغطرسة جافة:

«تصورت ذلك. والآن، هل تسمح لي بالخروج؟».

تجاهل طلبها مرة اخرى وقال:

«لاحظت انك تنادين نورا باسمها الأول. هل اصبحت الأمور على ما يرام بينكما؟ وكيف حدث ذلك؟».

«لم اجد اي ضرورة في الاصرار على الرسميات، لأن ما من احد هنا يفعل ذلك. اكتشفت ان لدي اوقات فراغ هائلة منذ دخول كريستين المدرسة، ولذلك قررت مساعدة نورا في الاهتمام بشؤون المنزل. هذا كل ما في الأمر».

«سينتهي العمل في البساتين خلال اسابيع قليلة، وستصبح لدي عندئذ بعض اوقات الفراغ».

قالت له اليزا بسخرية لاذعة:

«سوف تسعد رينيه بذلك».



«اعتقد ان عطرك هذا هو الذي ساعدني على النوم بارتياح خلال الليالي القليلة الماضية. انه طيب الرائحة ويحمل عطر زهور الربيع البرية».

تجمدت اليزا في مكانها وتوترت اعصابها لدرجة الانفجار، عندما شعرت بلهاثه الدافىء يداعب عنقها.

«اين تضعين العطر، يا اليزا؟ هنا، على جانب عنقك؟ على كتفك؟ قرب اذنك؟».

كان يسألها بصوت هامس، فيما كان انفه يداعب الامكنة التي كان يذكرها. وقفت امامه دون حراك، وهي مصممة على التظاهر بأن مداعباته ومغازلاته لا تهمها او تؤثر فيها اطلاقاً.

ولكنها احست بشعور غريب... بارتعاش في عروقها وشرايينها.

«هل شملت احلام اليقظة احتمال تأهيل غرفة الحضانة؟».

شعرت بان الدم تجمد في عروقها، فتنفست بصعوبة تكشف عن صدمتها وقالت:

«طبعاً لا!».

«انه لأمر مؤسف حقاً. اظن انك لاحظت مدى اتساع سريري، اليس كذلك؟».

تأملها طويلاً وهو يقول لها هذه الكلمات، ثم عاد الى مداعبة عنقها. رفعت رأسها بعنفوان وكبرياء، وسألته بحدة:

«ما بك؟ الم تلتق رينيه ابداً خلال الأيام الماضية؟».

«التقيتها صباح هذا اليوم بالذات، ولكن ذلك لم يحل مشكلتك بالنسبة الى الطفل. كيف تتصورين الشكل الذي سيكون عليه طفلنا؟».

بدأت اليزا تشعر بالضعف لوجودها قربه الى هذا الحد.

وانا لست عبدة مضطرة لتلبية رغبات سيدها، يا زاكاري. واؤكد لك انني لم افكر ابداً بموضوع . . . بموضوع. . . الاطفال، وبخاصة اطفالك انت!».

«لماذا لا تفكرين بهذا الموضوع الآن؟».

ابتسم بدهاء ثم اقترب منها مرة اخرى. . . ولكنه اختار في هذه المرحلة عناقها. صممت الا تحرك فمها تجاوباً، والا تظهر تأثرها . . . على الرغم من ازدياد حدة النار في داخلها لدرجة انها بدأت تهدد بجدية تحفظها المثلج. وعندما شعرت بانها لم تعد قادرة على الاحتفاظ ببرودة اعصابها، وبان دفاعاتها بدأت تنهار امام هجماته الناجحة. . . . توقف وابتعد عنها وتأملها بسرعة وسألها:

«هل تمنحك معرفتك بانك تثيرينني شعوراً بالقوة والعظمة والتفوق؟».

تفحصته بدقة متناهية، فلم تشاهد في وجهه ما يدعم تصريحه سوى تلك النار المشتعلة في عينيه. وفيما عدا ذلك، فقد بدا وكأنه يضحك عليها ويهزأ منها.

«وهل شعرت انت بالهزيمة والفشل عندما لم تتمكن من اثارة رغباتي؟».

«اوه، انت مخطئة في تصورك هذا. اني لم اشك لحظة في انني لم ادغدغ هذه الرغبات المخبأة في الثلاجة. كان قلبك اسرع من حصان اصيل، وجسمك يصرخ الما . . . . من المؤسف جداً انني مضطر للذهاب الآن الى البلدة، والا لكان هذا اللقاء دام فترة اطول. ما يثير اهتمامي فعلاً، هو ان اعرف الوقت الذي احتاجه معك قبل ان تبادليني الغزل. . .».

«يا لغطرستك وعنجهيتك وغرورك! انك. . .».



«رجل».

لم تضع اليزا الوقت بالتفكير. . . كانت يدها اسرع من العقل الذي يأمرها. لم تدرك انها صفعته، الا عندما احست بان يدها تلامس خده. نظر اليها بهدوء مزعج، ثم ضحك وقال:

«الأفضل لك ان تخرجي من هذه الغرفة باسرع ما يمكن. علقي ستري او انهي ما كنت تقومين به. سوف استحم الآن واستبدل ثيابي. اذا اردت البقاء، فانت على الرحب والسعة».

علقت الستره بعصبية وخرجت من غرفة النوم الرئيسية بسرعة البرق. اغلقت الباب وراءها بعنف وقوة. . . وهي تتمنى لو ان بامكانها سجنه هناك، الى الأبد!

نادتها نورا وهي تقف قرب السلم:

«اتمنى ان تتركي هذه النوافذ لأحد الرجال، يا سيدة ستيوارت. انك تعرضين نفسك للاخطار عندما تقفين على رأس سلم عال كهذا. اذا علم زاكاري بالأمر، فانه سيغضب مني كثيراً».

«هذه النوافذ متسخة الى درجة كبيرة بسبب الغبار المتراكم عليها، بحيث انها اصبحت تحجب نور الشمس. على اي حال، انها النافذة الأخيرة ولن انزل من على السلم قبل الانتهاء من تنظيفها».

«لا يمكنني القول باني مرتاحة لوجودك في مكان يمثل هذا الارتفاع. ولكني احمد الله عز وجل، لأن الشاحنات ستتوقف ابتداء من يوم غد عن التنقل امام البيت واطلاق هذه الكميات الكبيرة من الغبار».

لم تكن اليزا متأكدة من انها توافق مدبرة المنزل على رأيها وتمنياتها. فالعمل في البساتين ابعد زاكاري عنها، وحال دون حصول المزيد من لقاءات الصدفة كما في غرفة نومه. ومع انها اصبحت تحب نورا كثيراً لم تتمكن من الأعراب امامها عن حقيقة مشاعرها بالنسبة لانتهاء العمل. ارغمت اليزا نفسها على ان تقول انها ترحب بالسكينة والهدوء بعد هذا الضجيج والحركة المتواصلين لأسابيع عديدة. قالت

لها نورا:
«جئت لأتأكد من انك لست بحاجة الي في فترة بعد الظهر، ولأقول لك ان الغداء جاهز ويمكنك تناوله عندما تريدين ذلك».
نزلت اليزا عن السلم الذي كانت نورا تمسك به بقوة، وقالت:
«لا، يا عزيزتي، لست بحاجة لأي شيء. اذهبي الى البلدة وقابلي حفيدك الحبيب، ولا تدعي اي امر هنا يقلقك او يعرقل مشاريعك لهذا اليوم».
«انه موجود في المستشفى بسبب التهاب اللوزتين. سيعود غداً لأن الأمر بسيط. ولكنك تعرفين الاطفال ومطالبهم. انه يتوقع من جدته ان تزوره وتأخذ له حلوى او العاباً».
«انه في صف كريستين، وهي تتمنى له شفاء عاجلاً وعودة سريعة الى الدراسة. ويبدو ان اطفال المدرسة يعدون حفلة رائعة للاسبوع المقبل».
«سأنقل له رسالتها بكل سرور. هل انت متأكدة من انك لست بحاجة الى اي شيء قبل ذهابي؟».
«متأكدة تماماً. هيا اسرعي».
تحدثت السيدتان بضع دقائق اخرى، قبل ان تشعر نورا بالثقة التامة من ان كل شيء على ما يرام... وبأن وجودها لتلك الفترة القصيرة ليس ضرورياً اطلاقاً. جمعت اليزا كافة الأغراض التي كانت تستخدمها في الخارج، ودخلت الى البيت. ترددت بعض الشيء بين الاستحمام قبل الأكل او بعده، ولكنها قررت اخيراً ان تبدأ بتناول طعامها لأنها لم تعد تتحمل جوعها. وما ان اقتربت من المطبخ، حتى سمعت السيدة مارش تتأفف بصوت عال وتغلق ابواب الخزائن بعصبية. رفعت اليزا رأسها بشموخ واعدت نفسها لمواجهة الطاهية ذات المزاج السيء. فتحت الباب وحيتها بمرح، قائلة:
«اسعدت صباحاً، يا سيدة مارش، كيف حالك هذا اليوم؟».
«اذا كنت تريدين الحقيقة، فانا في حال سيئة. انا لست من



الاشخاص الذين يشكون ويتذمرون، كما تعلمين».
اخفت اليزا ابتسامتها، وهي تتذكر اطباق الطعام الشهية والمتنوعة التي تعدها هذه الطاهية. اذا كانت عصبية المزاج ولا تضر احداً، فهذا شأنها.
«ولكن تلك الامرأة تذهب وتتركني بمفردي، مع انها تعرف انني اصنع قالباً كبيراً من الحلوى لهذه الليلة. اني بحاجة لساعة او اكثر كي انتهي منه!».
اغلقت خزانة اخرى بعصبية بالغة. سألتها اليزا بهدوء، علها تفلح في التخفيف من حدة توترها:
«لا افهم. ما هي المشكلة؟».
اجابتها بصوت عال وبحدة واضحة:
«اخبريني اذن كيف سأنتهي من قالب الحلوى، واتمكن في الوقت ذاته من اعداد طعام السيد ستيوارت كي يكون جاهزاً في تمام الواحدة؟».
«لماذا لم تطلبي منها ان تأخذ له الغداء قبل ذهابها؟».
هزت السيدة مارش رأسها بحزم وقالت:
«لأنها كانت ستلقي علي محاضرة غاضبة اخرى بالنسبة الى حفيدها المريض! لا، لم يكن بامكاني تحمل ذلك! اعتقد ان علي تجاهل هذا القالب الجميل بصورة تامة، وان ارميه في سلة المهملات. لا احد في هذا البيت يهتم ابداً بالوقت والاهتمام اللذين اخصصهما لاعداد الطعام وتجهيزه على هذا النحو الرائع! لا احد يهمه شيء، طالما ان الطعام جيد!».
«انت تعرفين جيداً كم نقدر لك جهدك وعملك، انا والسيد ستيوارت على حد سواء».
«يوجد بعض الاشخاص هنا، ولن اذكر اي اسماء، لا يهمهم اطلاقاً ما يجري».
عرفت اليزا ماذا كانت تعنيه السيدة مارش، ولكنها قالت لها:

«انا متأكدة من وجود حل لهذه المشكلة».

«وما هو الحل، يا ترى؟ هل يكمن في استدعاء السيد سيتوارت لتناول طعامه هنا، مع انه يعمل طوال النهار بجد ونشاط مذهلين؟ ربما كان من الأفضل له الا يتناول اي طعام على الاطلاق!»

رمت ملعقة في وعاء نحاسي بشكل احدث دوياً مزعجاً. ابتسمت اليزا وقالت لها:

«الحل ابسط من ذلك بكثير، يا سيدة مارش. سأنتهي من طعامي ثم احمل له طعامه بنفسي، واوفر عليه مشقة الحضور الى هنا».

نظرت اليها الطاهية بشيء من الامتنان، وقالت:

«كيف لم يخطر هذا الحل البسيط ببالي، يا سيدة سيتوارت؟».

ابتسمت اليزا ثانية، مع انها احست بان قلبها اختفى من مكانه لمجرد تفكيرها بحمل طعامه الى المعمل، وقالت:

«اتصور ان عدم تفكيره بهذا الحل عائد الى انهماكك الشديد في العمل. سأغسل يدي الآن واتناول طعامي».

«سأعد لك كل شيء في غرفة الصباح يا سيدة سيتوارت. انك فعلاً منقذة!».

قالت اليزا لنفسها انها حقاً طريقة ناجحة لافساد يوم جميل. لماذا افسحت المجال امام الطاهية لايقاعها بمثل هذا الشرك؟ طبعاً، ثمة احتمال ان يكون زاكاري موجوداً في مكان آخر عندما تأخذ له طعامه... وعندها تتركه له مع احد العمال وتعود بسرعة دون الاضطرار لرؤيته. انه امل ضعيف جداً... ولكنه الأمل الوحيد الذي يمكنها التعلق به.

لم يعجبها طعامها، مع انه كان شهياً ولذيذاً للغاية. ربما فقدت شهيتها لأنها تفكر باحتمال مقابلته! اكلت نصف الكمية المخصصة لها، واعادت الباقي. حملت صينية طعامه التي اعدتها الطاهية بعناية فائقة، وسارت بعصبية نحو المعمل. لم تكن تعرف ابداً اين



ستجده، او اين يقع مكتبه في تلك المباني الصغيرة المتقاربة، وانتبهت فجأة الى ان مشكلة ايجاده لم تعد قائمة. وقفت بلا حراك في ظل شجرة باسقة، تحدق به. كان عاري الصدر حتى الخصر ويبدو كتمثال من البرونز. ارتعش جسمها قليلاً، ولكنها حاولت على الفور اقناع نفسها بانها شاهدت في حياتها كثيراً من الرجال في ثياب اقل... على الشاطىء او قرب بركة سباحة. الا ان زاكاري بدا مختلفاً عن غيره، وتجاوب مشاعرها بدا على غير عادته! ارغمت نظراتها اخيراً على التحول الى الرجل الآخر الذي يقف الى جانبه. شعرت بالارتياح بعض الشيء عندما تبين لها انه بول. لن يحاول زاكاري، بوجود بول، مداعبتها او مغازلتها. تسلحت بهذه الثقة الجديدة، ومشت نحوهما بشموخ وانفة. ادار زاكاري رأسه نحوها عندما سمع صوت قدميها وقال:

«اوه، اوه، انظروا ايها الناس الى من تجرأ اخيراً على دخول عرين الأسد».

وقفت اليزا قربهما وقالت بهدوء:

«السلام عليكما. ذهبت نورا الى البلدة لمشاهدة حفيدها المريض، فتبرعت باحضار طعامك يا زاكاري».

ابتسم بول بارتياح ظاهر، وقال لها:

«اليزا انك تبدين في وضع جيد جداً... كالمعتاد».

تراقصت نظرات زاكاري على وجهها، وقال:

«يبدو ان وجنتيها تشعان ببريق جديد. ربما اعتدت كثيراً على مشاهدتك وانت مرتدية افضل الثياب وافخمها، فنسيت انك تبدين جميلة ورائعة... كصباح ذلك اليوم الذي تزوجنا فيه».

تشنجت اعصابها حنقاً وارادت ان تقول له شيئاً قاسياً. الا انها امتنعت عن ذلك، وحولت انتباهها فوراً الى بول قائلة:

«ليتني علمت انك هنا. كان من السهل جداً ان اطلب من السيدة مارش اعداد وجبتين كاملتين عوضاً عن واحدة».

«شكراً. تناولت فطور الصباح في وقت متأخر جداً».

نظرت اليزا الى زاكاري لتسأله عن المكان الذي سيتناول فيه طعامه:

«اين تريدني ان اضع . . .؟».

توقفت عن اتمام جملتها، عندما سمعت صوت عجلات سيارة مسرعة تتجه نحو التلة. ادار الثلاثة رؤوسهم نحو الطريق لمشاهدة سيارة سباق حمراء جميلة تتوقف امامهم بعنف وعنفوان. توترت اعصاب اليزا كثيراً عندما رأت رينيه وراء المقود. ومما اغاظها اكثر من ذلك، ان تلك الشابة السمراء وقفت في سيارتها المكشوفة ورمت نفسها على المقعد الخلفي قائلة بغنج:

«انه لمقعد مناسب جداً!».

كانت تنظر باعجاب نحو زاكاري وبدلال نحو بول، وبحقد حارق نحو اليزا.

«جئت لاخبركم بان ابي حدد يوم الجمعة من الاسبوع المقبل موعداً لحفلتنا. يمكنك اعتبار هذا الابلاغ دعوة رسمية للحضور».

سألتها اليزا باستخفاف مبطن:

«حفلة؟».

«يقيم ابي دائماً حفلة للاحتفال بالمواسم الناجحة الموفقة. انها حفلة صغيرة وغير رسمية. . . وكلها مرح. اليس كذلك، يا زاكاري؟».

رد زاكاري على ابتسامتها بالمثل، وسألها بهدوء. . . متجاهلاً ملاحظتها:

«الا يزعجك الهواء قليلاً عندما تزيلين غطاء السيارة؟».

«انت تعرف كم احب مداعبة الهواء لشعري. يذكرني ذلك. . . اوه، انت تعرف بماذا يذكرني ذلك يا زاكاري».

تضايقت اليزا كثيراً من هذا الايحاء وتلك الابتسامة الخبيثة، وسألته بحدة:



«اين تريدني ان اضع طعامك، يا زاكاري؟».

«ارشدها الى مكتبي، يا بول».

ثم استدار نحو رينيه وسألها بحنان:

«كيف كان موسمكم هذه السنة؟».

رفعت اليزا رأسها بصعوبة، وسارت مع بول نحو المكتب. كانت غاضبة حتى الانفجار. . . ارسلها بعيداً بكل هدوء لينفرد برينيه! وجف حلقها عندما سمعت ضحكتها تتردد في تلك المنطقة، وتخترق اذنيها محدثة دوياً رهيباً.

«الا تعرف اين مكتبك؟».

لو لم تنو رينيه اسماع سؤالها هذا الى اليزا، لما رفعت صوتها الى تلك الدرجة العالية جداً. ولكن اليزا علمت بالتأكيد ان رينيه لا تهدف فقط اثارة اعصابها بكلمة او باخرى، بقدر ما تريد افهامها بان اليزا فرانكلين هي الغريبة. . . وليس رينيه غوتيار.

ارشدها بول الى غرفة زاكاري الفسيحة التي لا تضم سوى مكتبه ومقعده، بالاضافة الى طاولة كبيرة تحيط بها مقاعد خشبية قاسية.

«هذا هو مكتب زاكاري، الذي نستخدمه بين الحين والآخر لتذوق انواع العصير ومناقشة كيفية تحسينها. يمكنك ان تضعي الاطباق هنا. سيأتي خلال فترة وجيزة».

وضعت الطعام على الطاولة الكبيرة، وهي شبه متأكدة ان زاكاري لن يعود قريباً. تطلعت حولها ثم سألته عن القوارير الكبيرة الموجودة خارج الغرفة. سار معها الى المدخل لتشاهد القوارير عن كثب، وراح يشرح لها عن انواع العصير المختلفة التي توجد فيها. ثم سألها:

«هل تريدين القيام بجولة تفقدية مع دليل سياحي ممتاز؟».

وافقته بسرعة على اقتراحه، لا لأنها تريد ذلك فعلاً. . . بل لأنها غير راغبة في مقابلة زاكاري ورينيه في الخارج. اخذها بول الى النقطة التي تبدأ منها العملية كلها. . . الى المكان الذي يفرغ فيه العمال

جولة الشاحنات من الليمون والبرتقال. واخذ يشرح لها تباعاً، وبالتفصيل، كيفية سير العمل والآلات الموجودة. وقفت في الغرفة البالغة الأهمية، حيث تتم التعبئة، وراحت تتأمل ما حولها بهدوء تام. وفجأة، دوى صوت زاكاري مخاطباً بول:

«الى هنا احضرت زوجتي ايضاً؟».

ضحك بول بسهولة وارتياح، وهو امر لم يكن ليقدر عليه في ظروف مماثلة قبل اشهر قليلة، وقال:

«انك خبيث، يا زاكاري. كل ما افعله هو اطلاعها على كيفية سير العمل وجميع اسراره».

«اذا كان الأمر كذلك، فلا بأس، اوه! لديك مكالمة هاتفية من سان فرانسيسكو. استخدم الهاتف الموجود في مكتبي».

نظر بول الى اليزا وعلى وجهه ابتسامة حنونة صادقة، وفي عينيه ندم. ثم قال لزاكاري:

«غطت جولتنا كل شيء، بما في ذلك موضوع التعبئة. يمكنك ان تتابع الجولة معها من هنا».

تطلع نحو اليزا ثانية وقال لها:

«لن تخسري شيئاً بذهابي، لأن زاكاري سيشرح لك باسلوب افضل واقرب الى القلب».

تمنت اليزا لو بامكانها ابلاغه بانها لا تحب ابداً الانفراد بزوجها، وخاصة في هذا المكان المنعزل بالذات. قالت له بصوت ناعم:

«انك تقلل من اهمية نفسك، يا بول، ولا تمنحها حق قدرها».

نظر اليها زاكاري بحدة، بمجرد خروج بول، وقال لها:

«لا زلت تلعبين معه، يا اليزا، اليس كذلك؟ لماذا تعاملينه وكأنه سمكة عالقة بصنارة؟».

ردت عليه ببرودة فائقة:

«لم نفعل شيئاً سوى تفقد المعمل. هل يمكن ان تكون هناك براءة اكثر من ذلك؟».



اصر على عدم التوقف عند هذا الحد فقال لها:

«علمت انه حضر الى البيت مرات عديدة في الآونة الأخيرة».

نظرت اليه بتحد وشموخ، وقالت:

«لم يدخل البيت ابداً. كنا نجلس في الحديقة، حيث يمكن لأي شخص ان يراقبنا. بالمناسبة، هل يمكن تطبيق الكلام ذاته على زيارات رينيه؟».

ابتسم زاكاري باستخفاف ومرارة، وقال لها:

«تحاربين دائماً، وبكل ما لديك من قوة، اليس كذلك؟ الهجوم الناجح هو افضل وسيلة للدفاع. صحيح؟».

ادارت وجهها نحوه بعصبية، وردت عليه بصوت غاضب:

«بالنسبة اليك . . . نعم».

ثم تطلعت نحو المستوعبات الكبيرة، وسألته بهدوء:

«اخبرني، كم يبقى العصير هنا قبل تعبئته؟».

سألها ضاحكاً:

«لماذا تحاولين تغيير الموضوع؟ هل انت خائفة؟».

«نعم».

«لم اعتقد ابداً انك ستكونين صريحة بما فيه الكفاية للاعتراف بذلك. هل انت خائفة مني . . . ام من نفسك؟».

شعرت بانه يقترب منها ويلتصق بها. . . مع انها لم تسمع اي حركة من جانبه. لا شك انه اقترب منها نفسياً وعاطفياً! هزت كتفيها باحتقار، وقالت له فيما كانت تبتعد عنه قليلاً:

«انه لسؤال سخيف وتافه للغاية! احب مشاهدة بقية انحاء المعمل. ان لم تكن راغباً في مرافقتي، فسوف اذهب الى المكتب وانتظر بول».

استدارت نحوه لتعرف رد فعله كان، ينظر اليها بمرح ظاهر. وجدت صعوبة في مواجهة نظراته، ولكنها قررت ان تحدق به. . . وتتحداه. سألها بهدوء:

«هل انت فعلاً مهتمة بامور المعمل؟».

ردت عليه بسخرية لاذعة:

«طبعاً! اليس هذا هو عمل زوجي ومصدر رزقه؟».

تجاهل تحديها له، وقال:

«لم يهمك ذلك ابداً من قبل، لذلك لن اصدقك بان عملي هو سبب اهتمامك المفاجىء. وافترض انك حقاً مهتمة بمشاهدة المعمل. انه، لا شك، حب الاستطلاع».

ثم اضاف قائلاً، وهما يغادران تلك الغرفة:

«اعذريني فيما لو كررت لك بعض المعلومات التي اطلعك عليها بول سابقاً».

تحول زاكاري فجأة من رجل قاس متغطرس الى رجل يحب عمله ويفخر به. اخذ يحدثها بجدية، مستخدماً كلمات سهلة وواضحة، فحولت كل انتباهها اليه... على رغم روح العداء والكراهية. وبعد جولة استمرت بعض الوقت، وجه اليها زاكاري ابتسامة مهذبة وقال:

«سأعود بك الآن الى الطابق العلوي، وارشدك الى طريق البيت».

افلتت ذراعها من اليد التي امسكت بها لمساعدتها، وقالت بحدة فائقة:

«يعني ذلك انني غير قادرة على البقاء في معملك، ما لم تكن انت راغباً في ذلك».

«لا، بل يعني انني لم اتناول غدائي بعد... وانني جائع جداً... وان لدي اعمالاً كثيرة يجب الانتهاء منها هذا اليوم!».

ثم نظر اليها غاضباً، وقال:

«اضافة الى ذلك، لست في مزاج يسمح لي بالدخول معك في شجار او جدال!».



تظاهرت بانه افزعها وارغمها على الخضوع، ثم ابتسمت بخبث ودهاء وقالت:

«سمعاً وطاعة، يا سيدي! من المؤسف انك لا تجدني سهلة معك مثل ربيبته».

«انه حقاً لأمر مؤسف!».

صعدت اليزا الدرجات القليلة بحدة وعصبية، وانتظرته كي يرشدها الى الطريق. لم يلحق بها بعد خروجها لأنه توجه فوراً على ما يبدو الى مكتبه. تنشقت هواء نظيفاً، وصممت الا تدع احداً يرى غضبها وملامح وجهها المتوترة. سمعت بول يناديها، وهو واقف قرب سيارته:

«هل انتهت الجولة؟».

ارغمت نفسها على الابتسام، وقالت:

«نعم، نعم، انتهت. الى اين انت ذاهب؟».

اجابها بهدوء، فيما كانت تقترب منه:

«ليس الى اي مكان معين. كنت انوي مقابلة بعض الموزعين قبل توجهي الى سان فرانسيسكو. هل تريدين شيئاً؟».

تنهدت بعمق وقالت:

«لا شيء خاصاً. كنت اريد دعوتك الى فنجان من القهوة».

ابتسم وقال مرحباً بدعوتها:

«لدي الوقت الكافي لذلك. هل نذهب بسيارتي ام سيراً على الاقدام؟».

ضحكت اليزا، وهي تتأمل وجهه الجذاب وعينيه الزرقاوين وشعره الاشقر، وقالت:

«لنذهب بالسيارة! يبدو انني سرت اليوم بما فيه الكفاية».

ادركت انها تقوم بمحاولة سخيفة وتافهة للانتقام من زاكاري... ومن تلميحاته المستمرة بان ثمة علاقة تربطها ببول. ارادت ان تغيظه

كما يغيظها، وتثير اعصابه كما يفعل باعصابها. وبالاضافة الى ذلك، ارادت ان تعرف بعض الأمور... وبول هو الشخص المناسب لتزويدها بأي معلومات تريدها.

جلسا في الحديقة يشربان القهوة بهدوء وسكينة. لم تتحدث اليزا الا عن المعمل والأشياء الاخرى التي شاهدتها. استغربت قدرتها على توجيه بول كيفما تريد، وعلى توجيه الحديث بالطريقة التي تريدها وتفضلها. لم تكن تدرك انها ذكية وقادرة الى هذه الدرجة، وانها تمكنت بعد قليل من حمله على التحدث عن رينيه والحفلة المقبلة.

«ماذا تعرف عن رينيه وزاكاري؟».

شاهدت نظرات الاستغراب والدهشة في عينيه، فاضافت بسرعة:

«اعني، قبل زواجنا بالطبع!».

اختار بول كلماته بدقة وعناية، قائلاً لها بعد لحظات:

«امضيا معاً فترة طويلة. اعتقد ان الجميع تقريباً كانوا يتوقعون زواجهما من بعضهما. وكانت رينيه تتوقع ذلك اكثر من غيرها، وهذا هو على الأرجح سبب عدم زيارتها لكما الا نادراً».

قطبت اليزا حاجبيها قليلاً، وسألته باهتمام بالغ:

«ما هو السبب في نظرك لعدم زواج زاكاري منها؟ اعتقد ان الزوجة تتوق عادة لمعرفة بعض الأمور عن الفتيات اللواتي كان زوجها يعرفهن قبل ارتباطه بها. الم يكن زواجه من رينيه مثلاً مناسباً له الى ابعد حد؟».

تردد بول قليلاً، لأنه لم يكن راغباً اصلاً في مناقشة هذا الموضوع مع اليزا. ولكنه قال لها بعد لحظات:

«صحيح. كان السيد غوتيار صريحاً جداً في رغبته في ان يتولى زاكاري امور بساتينه ومعامله. لم يكن كشخص يحاول اغراء زاكاري بالمال لتزويجه ابنته القبيحة او المجنونة. رينيه شابة جميلة جداً. قد



تكون مدللة كثيراً، ولكنها بالتأكيد جميلة وذكية».

عاد التوتر الى اعصاب اليزا... وعاد ذلك الشك الرهيب يقض مضجعها. لماذا تزوجها زاكاري، مع انه كان بامكانه الحصول على كل شيء يريده من لويس غوتيار؟ لماذا يصر ان المال وحده هو سبب قبوله الزواج منها؟ سألته:

«الم يكن السيد غوتيار على استعداد تام لتزويده بالمال الكافي لتحديث معمله؟».

«طبعاً، طبعاً. انا متأكد من ذلك. ولكن زاكاري رجل يريد السيطرة بنفسه على حاضره ومستقبله... ومصيره. تمكن المعمل في العامين الماضيين من تحقيق ارباح كافية لتزويده باحدث الآلات والمعدات. رينيه، كما قلت، شابة مدللة وذات مطالب كثيرة ومتعددة. ولذا، فاني اتصور ان زاكاري قرر تمضية اوقات ممتعة معها دون الارتباط بزواج نتيجة الرغبة في المال».

ولكن... الم يحدث ذلك معها؟ الم يتزوجها لأجل المال؟ آه، الفارق الوحيد هو انه يوجد بينهما عقد لمدة سنة واحدة... وليس فيه نص او بند يشير الى احتمال التجديد! اقتربت من بول وسألته بطريقة تشير الى انها متحرقة لمعرفة الجواب:

«بول! الى... الى اي درجة وصلت علاقتهما؟».

احمرت وجنتاه خجلاً وقال لها، بعد ان ابعد وجهه عنها:

«لا اظن ان زاكاري كان بحاجة للزواج منها لكي يحصل على ما يريد، من حيث الرغبات».

ثم حدق بها بقلق وانقباض، ومضى الى القول:

«اليزا! هذه امور للتاريخ، ولا يجدر بنا حتى ان نتحدث بها. زاكاري متزوج منك الآن، ولم تعد هناك اي علاقة تربطه برينيه».

بدت مسحة قوية من الألم في عينيها، عندما قالت له:

«ما رأيك لو قلت لك ان هذه العلاقة لم... لم تنته بعد؟».

«لا يمكنك ان تكوني جادة، يا اليزا. لا يمكن لزاكاري ابداً ان يفعل ذلك معك. اعرف انه يتصرف احياناً بشدة وقساوة، ولكنه ليس من الاشخاص الذين يقدمون على مثل هذه الأمور بعد زواجهم. صدقيني، يا اليزا!».

«اتمنى لو اقدر على ذلك، يا بول. اني اشعر باذلال قوي عندما...».

هل هذه غيرة؟ هل بدأت تشعر بالغيرة؟لا، لا يمكن!

«انت تعرف كم من مرة تذهب فيها رينيه الى المعمل دون ان تمر من هنا! لا تذهب الا الى المعمل... حيث يكون زاكاري».

«هل تحدثت معه بهذا الخصوص؟».

«انه يرفض بحث هذا الموضوع معي. آسفة، يا بول. كنت بحاجة الى شخص ما لأحدثه بشأن هذه المسألة. ليس لدي اي شخص غيرك يمكنني التحدث معه بارتياح».

«انت تعرفين كيفية شعوري تجاهك، يا اليزا. لم يتغير اي شيء. اني اتمنى لو ان الذي تقولينه عن زاكاري ورينيه صحيح... اذا ساءت الأمور بالنسبة اليك، فاعلمي ان بامكانك الاعتماد علي والاتصال بي... في اي زمان او مكان».

ابتسمت شاكرة، ثم سألته بهدوء:

«هل هذه الحفلة اهمية بالغة، يا بول؟ اعني... اعني انني لست متحمسة جداً لحضورها».

«يجب ان تحضريها، يا اليزا. ستكون اهانة كبيرة للويس وايستل غوتيار، اذا رفضت الذهاب. انها يدعوان عدداً قليلاً ومختاراً من الاصدقاء، ورفض دعوتها هو اسوأ شيء يمكنك القيام به».

«فكرة... مجرد فكرة فقط».

كانت تعلم ان زاكاري سيجرها من شعرها لو تجرأت على الرفض. لذا قررت ان تذهب برضاها وتواجه رينيه في عقر دارها.



«يجب ان اذهب الآن، يا اليزا. ولكن تذكري ان بامكانك الاتصال بي في اي وقت».

«سأتذكر ذلك، يا بول. شكراً لحضورك».

شعرت بالارتياح، وهي تنظر الى الاهتمام الحقيقي والصادق في عينيه...

## ٥ - على شفير الرحيل

امضت اليزا معظم ساعات النهار متنقلة بين افخم المحلات التجارية في سان فرانسيسكو، حتى وجدت العباءة التي تريدها لحفلة غوتيار. كانت العباءة الزرقاء الرائعة من تصميم احد كبار مصممي الأزياء في العالم. اطلق عليها اسم ... الملاك الأزرق.

نظرت الى نفسها في المرآة بموضوعية تامة، ومع ذلك لم تتمكن من ايجاد اي انتقاد حقيقي لهذه الشابة الجميلة الأنيقة امامها. سمعت باب غرفة زاكاري يفتح ويغلق، فعلمت انه سيكون الآن بانتظارها في القاعة. نزلت بعد دقائق، فاقترب منها ليأخذ يدها. تأملت اناقته باعجاب صامت، قائلة لنفسها انه يبدو جذاباً الى درجة كبيرة.

«تمنحني زوجتي الليلة شرفاً كبيراً».



ضايقتها لهجته الساخرة في صوته، ولكن الاطراء الواضح في عينيه الجميلتين رفع معنوياتها ثانية:

«وانت ايضاً تبدو وسيماً وجذاباً. هل نحن على استعداد للذهاب؟».

«هيا بنا، انها حفلة مميزة جداً، يا اليزا. آمل ان تعتبريها كذلك. لا اريد اي حماقات او تصرفات غريبة هناك».

«طبعاً، طبعاً ولكني امل انا بدوري ان توافقك ابنة المضيف ايضاً على ذلك».

«يجب الا يقلقك وجود رينيه ابداً».

رحب بهما لويس وايستل غوتيار لدى دخولهما، وقال لويس وهو يهز يد زاكاري بمحبة وحماسة:

«اني مسرور جداً بقدومكما».

«انت تعلم اننا لا يمكن الا ان نحضر هذه الحفلة، انها جزء بالغ الأهمية في حياتنا وتقاليدنا».

اخذ لويس غوتيار يد اليزا وقبلها بنعومة، ثم قال لها مرحباً:

«سيدة ستيوارت! انك تبدين في قمة الروعة والجمال... وهذه العباءة ناعمة كالمخمل... وحالمة كقصيدة حب».

احمرت وجنتاها حياء وتمتمت بكلمات الشكر والسرور. تدخل زاكاري باسماً:

«انا متأكد، يا لويس انك تبالغ كثيراً في اطراء اليزا وثوبها».

«اعتقد انك تقلل كثيراً من اهمية زوجتك، يا زاكاري».

«ربما، ربما!».

حضر بقية الضيوف تباعاً، فيما كان زاكاري واليزا يتجولان في انحاء القاعة. لم يعلق بشيء على ذلك الثوب الرائع الذي ترتديه، ولم يقل كلمة واحدة عن جمالها واناقتها... باستثناء تلك الملاحظة السلبية التي وجهها الى لويس. لم تشاهد رينيه. اين هي، يا ترى؟

وفجأة رأت بول امامها، فرفعت يدها بالتحية. لاحظت ان زاكاري تطلع نحوهما بكثير من اللامبالاة، وكأنه متأكد من ان بول ليس نداً او منافساً. نظرت الى بول بملامح ضمنتها كل سحرها ودلالها، وقالت:

«كنت ابحث عنك، ولكني لم ارك تدخل».

«انا رأيتك منذ لحظة دخولك. انك رائعة تماماً هذه الليلة».

اوه، لماذا لا يبعد زاكاري نظراته الساخرة عنها؟ وسمعت بول يسألها:

«كيف تجدين هذا التجمع الصغير؟».

ضحكت، وهي تتأمل حولها افراد تلك المجموعة الثرية الأنيقة، وقالت:

«انها رسمية للغاية، أليس كذلك؟».

ابتسم بول، وبدأ يشرح لها باسهاب عن هؤلاء الاشخاص وبساتينهم ومعاملهم. ولكن اليزا كانت في عالم اخر. كانت تراقب رينيه، التي شقت طريقها بهدوء نحو . . . زاكاري. طوقت ذراعه بذراعيها. . . بقوة، ونظرت باستفزاز نحو اليزا وهي تتمتم لها بكلمة ترحيب مقتضبة. لاحظت اليزا بغضب عارم كيفية تحديق زاكاري بثياب رينيه الجميلة، وتبادلهما الاحاديث الودية بصوت ناعم منخفض. تركت ذراعه وداعبت خديه بيديها، قبل ان تبتعد عنه وهي تنظر الى اليزا بتحد ساخر. قطع بول حديثه عن الضيوف، وقال لها بسرعة:

«لا تدعيها تثيرك، يا اليزا!».

استدارت نحوه بدهشة، ثم ابتسمت باعتذار عن تحول انتباهها عنه، وقالت:

«سأحاول ذلك قدر المستطاع».

«ماذا ستحاولين، ايتها الزوجة العزيزة؟ لاحظت انك لم توجهي تحية الى ابنة صاحب الدعوة».



«وانا لاحظت ايضاً انها لم ترحب بي او توجه الي اي تحية على الاطلاق. ولكني اعذرها، لأنها كانت منشغلة عني بالتحديق في عيني زوجي».

«حقاً؟ لم الاحظ ذلك ابداً».

كان بول ينظر بانقباض الى كل منهما، وقد ساءه جداً ان يحضر هذه المشاجرة العائلية. . . وخاصة بين شخصين يحبهما ويحترمهما. قرر ان يعتذر منهما ويبتعد عنهما، ولكنه سمع رينيه تقول بمرح ظاهر:

«زاكاري! قال ابي ان بامكاننا ان نبدأ الرقص الآن، وقد اخترتك انت لتكون شريكي الأول. هيا لنفتتح حلبة الرقص».

اقترب زاكاري من زوجته وقال لها، وهو يوجه اليها ابتسامة ساخرة وخبيثة:

«هل تسمحين؟».

ردت عليه بصوت لا يمكن لاحد غيره ان يسمعه:

«وماذا لو رفضت؟».

«سوف تخلقين مشكلة لا ضرورة لها اطلاقاً».

لم تجد اي خيار اخر، فهزت رأسها دليل الموافقة. رفضت النظر الى عيني رينيه، اللتين تشعان سرور وانتصاراً، وحولت انتباهها كاملاً الى بول. . . وكأن كل شيء على ما يرام. حاولت عبثاً ان تبعد نظراتها عن الحلبة، ولكنها لم تتمكن من ذلك. انتهت الرقصة الأولى، فلم يعد زاكاري الى جانبها. راح يراقص سيدة تلو اخرى، دون ان يطلب مرة واحدة من اليزا ان تشاركه . . . تلك الرقصات المتعددة. اشعلت سيجارة بحدة بالغة، وانهتها بسرعة وعصبية. دعاها المضيف الى الرقص بينما كان زاكاري يرقص مرة اخرى مع . . . رينيه. قبلت شاكرة، واكتشفت بارتياح انه راقص ماهر ويضاهيها خفة ورشاقة. انتهت الرقصة، فصفق لهما الحاضرون اعجاباً. طلب منها لويس رقصة اخرى، فربت زاكاري بتهذيب على

كتفيه وقال باسماً:

«لم احظ بعد هذه الليلة بمراقصة زوجتي، فهل تسمح يا لويس؟».

تنهد المضيف واحنى رأسه لها شاكراً، ثم قال لزاكاري انه رجل محظوظ للغاية... وتركهما.

«تصورت انك لن تلاحظ ذلك ابداً. هل هذا واجب؟».

«يفضل النحل عادة العسل على النحل».

«ولكن، ما من احد يريد ان تلسعه نحلة».

كانت متضايقة لأنه يراقصها عن بعد، مع انه كان يضم رينيه الى صدره بقوة وحنان ظاهرين.

«ثمة اشخاص لا يلسعهم النحل».

«مثل رينيه؟».

«الى حد كبير».

«لم تقل شيئاً بالنسبة الى الثوب الذي ارتديه. الم يعجبك؟».

«اوه، انه جميل جداً».

«انك تتصرف معي بغرابة!».

ابتسم بدهاء وقال لها:

«الم تصممي منذ البداية على ابعادي عنك!».

اشار الى بول برأسه، ثم توجه نحو السيدة غوتيار لمراقصتها. تركت اليزا الحلبة وعادت الى مكانها، فيما كان مرافقها الجديد بول يسير وراءها. قدم لها خادم فنجاناً من القهوة، فقبلته شاكرة. وعرض عليها بول سيجارة فاخذتها دون تردد. اشعلها لها وقال:

«اليزا...».

«لن اقبل ان يعاملني على هذا النحو! لن اسمح له بان يعتبرني كحقيبة يضعها جانباً طوال الوقت، ثم يتذكرها عندما يشعر بان الواجب يحتم عليه ذلك!».



«اليزا...».

«انظر اليه كيف يراقصها! انها على وشك ان يمارسا الحب... هنا... امام الجميع!».

«اليزا، ماذا تقولين؟».

«لن ابقى هنا دقيقة اخرى بعد الآن. هل تأخذني الى البيت يا بول؟»

«لا يمكنك ان تذهبي هكذا. سيبدو الأمر غريباً للغاية لو ذهبت دون زاكاري!»

«حقاً؟ هذا اذن من سوء حظه».

«تعقلي، يا اليزا، بحق السماء!»

«هل ستأخذني بسيارتك ام اذهب سيراً على الأقدام؟».

«تنهد بول بتردد وقال:

«سآخذك».

ذهب بول لاحضار السيارة، فيما انتظرت اليزا الخادم المسؤول عن المعاطف ليحضر لها وشاحها. وقفت بعصبية وهي خائفة الى حد ما من اي ظهور مفاجىء لزاكاري، لأنه سيمنعها من الذهاب. ولكنها كانت تتمنى في الوقت ذاته ان يحاول ذلك، كي تتحداه وتثبت له انها ليست امرأة ضعيفة يمكن له ان يلعب معها كالكرة. برزت السيدة غوتيار وسألتها باهتمام بالغ عن سبب مغادرتها على عجل، فاعتذرت لها اليزا عن ذلك متظاهرة بأن صداعها اللعين لم يخف... على الرغم من جمال الحفلة وروعتها. شكرتها على كل شيء وتوجهت بسرعة الى سيارة بول. قال لها الصديق الهادىء في محاولة اقناع اخيرة:

«هل انت متأكدة من انك لن تغيري رأيك ابداً؟ انا مقتنع بأن الأمور ليست سيئة الى الدرجة التي تتصورينها، يا اليزا. لا تنسي ان زاكاري مضطر لملاطفة رينيه».

«لم ارك انت مثلاً تراقصها».

ابتسم بول وفتح فمه ليعلق على تلك الملاحظة، فسارعت الى القول:

«لا اريد التحدث عن هذا الموضوع».

فتح لها باب السيارة لدى وصولها، وسألها بهدوء:

«هل تريدين مني ان ارافقك حتى الباب؟».

اجابته بكلمة نفي واحدة، وهي تأخذ يده التي مدها لمساعدتها على الخروج. ابقى يدها في يده بعض الوقت، وراح ينظر اليها بشغف. وفجأة. . . ضمها اليه بقوة وقال لها بصوت هامس:

«اليزا! اتمنى لو ان بامكاني القيام باي شيء لمساعدتك».

تململت باحتجاج خفيف بين ذراعيه، فأمسك برأسها وعانقها بنعومة. ثم تركها وكأنه ندم على عمله وتسمر في مكانه، فيما سارت هي ببطء نحو باب البيت. دخلت القاعة و. . .

«كان وداعاً قصيراً ومقتضباً».

ادارت رأسها بحدة وسرعة نحو مصدر الصوت، فشاهدت زاكاري جالساً في احد المقاعد. شهقت وسألته باستغراب بالغ:

«كيف اتيت الى هنا؟».

«علمت انك تشعرين بصداع قوي، فاعتذرت من صاحبي الدعوة واخذت طريقاً فرعية عبر البساتين».

«اتصور انك غاضب جداً».

«بسبب مغادرتك بيت غوتيار دون ابلاغي، ام بسبب عناقك بول قبل دقيقة؟».

«للسببين معاً، على ما اعتقد».

«منحني السبب الأول عذراً جيداً لمغادرة الحفلة، وذكرني الثاني بمدى قلة خبرتك في الحب».

«لم يعن لي ذلك العناق شيئاً».

«لا بد ان كل عناق يعني شيئاً ما. واعتقد ان الوقت حان كي



اقرن الأقوال بالأفعال. ثمة انواع متعددة وكثيرة ولكل نوع هدف مختلف».

ارتبكت اليزا واحمرت وجنتاها. لم تتوقع رد فعل كهذا من زاكاري. وضع يديه برقة على ذراعيها، فشعرت بان الابتعاد عنه كطفلة خائفة سيكون تصرفاً سخيفاً للغاية. رفعت رأسها نحوه، وانتظرت خطواته التالية.

«أولاً الواجبات. . . كما في يوم زواجنا».

«وهناك عناق الاصدقاء».

مرة ثانية بخفة ونعومة، لكنها شعرت بموجة بسيطة من الدفء والحرارة. لم يبد عليه انه يتوقع اي مقاومة على الاطلاق. . . وكان على حق في تصوره.

«وطبعاً، هناك الحنان والتمني بليلة سعيدة».

للمرة الثالثة عاود الكرة فأحست هذه المرة بضغط خفيف وعندما تركها شعرت بالندم.

«اتصور ان التالية هي من النوع الذي استخدمه بول معك. . . اي من شخص يحب، ولكنه مضطر لعدم اظهار حبه او الكشف عنه حتى للحبيب».

ابعد يديه عن كتفيها ووضعهما على ظهرها كي يجذبها اليه، كانت فعلاً شيئاً مشابهاً لوداع بول. . . ولكن شعورها كان مختلفاً. ثمة مشاعر تتحرك في داخلها، ولكنها لم تكن متأكدة انها مسرورة من هذه التطورات المفاجئة. تركها لحظة، فحاولت الابتعاد عنه. لكنه امسكها مرة اخرى ولكن برقة ونعومة، قائلاً:

«لم انته. . . ثمة نوع واحد بعد، ومن المؤكد انك قادرة على تحمله».

تلعثمت وهي تقول له:

«هذه . . . هذه سخافة!».

«مرة واحدة، لا غير. . . عناق الرجل للمرأة التي يحبها».

اضعف دفء صوته معظم دفاعاتها، فلم تصدر عنها اي مقاومة اطلاقاً عندما جذبها اليه ببطء ونعومة. تأملت فمه الجميل وشفتيه الجذابتين الساحرتين، فيما كان رأسه يقترب منها. رقصت احاسيسها ومشاعرها بلذة ومتعة ووجدت نفسها تتصرف تلقائياً للمرة الأولى. ضمها بقوة اكبر اليه . . . حاولت ان تتذكر ان عليها عدم التجاوب، وعدم الكشف له عن حقيقة حلوة ومرة في آن واحد. . . وهي انها تتمتع لأول مرة في حياتها. لم تشعر بأي اشمئزاز، لم ينفر جسمها منه. ارتفعت يداها رغماً عنها وامسكتا بعنقه. . .

حدقت بوجهه وبعينيه، وشاهدت نار الغرام المشتعلة بقوة. ارتعش جسمها وتسارعت دقات قلبها. احست بخفقات قلبه، فشعرت بسرور بالغ ولذة فائقة . . . لأنه يتجاوب معها. فسألته بصوت هامس اذا انتهى، فابتسم وهز رأسه نفياً ثم قال:

«عندما يريد الرجل الحب مع امرأة، فانه يعانقها احياناً بهذه الطريقة».

الحب. . . الحب! لماذا يصر على استخدام هذه الكلمة!

هناك سبب واحد لكل هذه المشاعر والأحاسيس. لم تعد بارداً ايها القلب. . . انك تحبه. وصرخ القلب بدوره: «نعم، نعم، احبه كثيراً».

لم يعد يهمها كيف كانت تنظر سابقاً باحتقار الى الحب. لم تكن تعرف ما هو الحب الحقيقي، والسعادة التي يأتي بها. تمتمت اسمه بمحبة وحنان، ودفنت رأسها في سترته خجلاً وحياء من تجاوبها الضعيف والسريع مع قبلاته ولمساته.

«انك تتعلمين بسرعة. هل اعتبر هذا التجاوب مرحلياً ومؤقتاً فقط؟».

هزت رأسها نفياً، فامسك بشعرها واحنى رأسها الى الوراء كي تنظر اليه. تنهد بقوة عندما شاهد نظرات الحب والوله في عينيها، وقال:



«علمت عندما شاهدتك في هذه العباءة الرائعة، انني اريد ضمك على هذا الشكل. لا تنظري الى اي رجل بهذه الطريقة، يا اليزا. انها تدفعه الى التفكير بامور عديدة».

«لم اكن اعرف. . . لم اكن اعرف انني سأشعر بمثل هذه السعادة».

عانقها طويلاً واخذ يضمها بقوة. . . ثم ابعد يده فجأة عن جسمها، وتوقف عن تقبيلها. احتجت بصوت ضعيف، فقال لها:

«لا تعرفين ماذا تفعلين، يا اليزا. اما ان نتوقف الآن او. . .».

ترك بقية الجملة معلقة في الهواء. . . رمى الكرة اليها. . . وضع القرار بين يديها. جذبت رأسه نحوها بهدوء، وقالت له انها تعرف ذلك. رفعها بين ذراعيه، ومشى بها نحو الدرج رن جرس الهاتف، فحدق بها قليلاً.

«هل ندعه يرن؟».

ترددت لحظة ثم قالت له ان كريستين قد تكون على الطرف الآخر، وان ثمة اشياء هامة ربما حدثت. تنهد بتأفف جعل قلبها يخفق بقوة اكبر من قبل. انزلها الى الأرض وهو يشتم الهاتف، ويتمنى لو انه نزعه من مكانه. ابتسمت بسعادة بالغة لأنه مستاء من هذا التوقف المفاجيء بقدر استيائها هي. قالت له انها هي التي سترد على الهاتف. رفعت السماعة قائلة:

«آلو».

«من فضلك، اريد ان اتحدث مع زاكاري».

توقف قلبها عن الخفقان. . . شعرت بالخجل البارد يغلفها من كل جانب. . . تذكرت ان زاكاري لم يقل لها مرة انه يحبها. كم من مرة قالت لنفسها ان الرجل يمارس الحب، ان كان يحب ام لا يحب! تسمرت في مكانها، وتجمدت الدماء في عروقها.

«اليزا، هل من مشكلة؟ من المتكلم؟».

اجابته والألم يحز في نفسها. . . ويمنعها من التحدث بطلاقتها المعهودة:

«رينيه! اتصور انك نسيت . . . موعداً اخر معها».

رمت السماعة في وجهه واسرعت نحو غرفتها. شعرت بانها ستموت خجلاً. ارادته. . . احبته. . . ولا تزال تريده، حتى مع علمها بانه غير مخلص لها. . . وبانه لن يكون ابداً مخلصاً لها. هذا هو خجلها. . . وهذا هو الذل الذي تشعر به. ولكنها كانت تعلم انها مهما ارادته فلن تتجاوب معه بدون حب! لاحظت ان باب غرفتها ليس فيه اي قفل، فاسرعت ووضعت كرسياً وراء الباب لمنعه من الدخول. ناداها باسمها وهو يحاول عبثاً تحريك الباب فلم تجب. ناداها مرات عديدة، وهو يطالبها بفتح الباب.

«اريد ان اتحدث معك. اتصلت رينيه لتتأكد ان كل شيء على ما يرام. لم تكن لدي اطلاقاً اي نية او خطة لملاقاتها هذه الليلة. . . او اي ليلة اخرى».

هزت رأسها بالم واستهزاء. اذا ارادت ذلك فقط، فلماذا طلبت التحدث معه؟ صرخ بها غاضباً:

«اليزا! افتحي الباب!».

ليغضب . . . ليشعر بخيبة الأمل ذاتها. . . ليتألم مثلها. . . ليتعذب! خيم الصمت المطبق لبضع دقائق، بعد ان سمعته يبتعد عن الباب. هل سيكسره؟ ماذا سيفعل؟ اين هو الآن؟ وفجأة دخل زاكاري عبر الحمام المشترك مع غرفة كريستين، وقال:

«الم يكن من الأسهل علينا معاً لو انك فتحت الباب بكل بساطة؟».

حدقت به لحظة، ثم اغمضت عينيها وادارت وجهها نحو النافذة.

«اللعنة! لماذا لا تقولين شيئاً؟ يمكنني ان اشرح لك الوضع على حقيقته، اذا اعطيتني فرصة واحدة!».



«اخرج من هنا، يا زاكاري!».

«وأنسى ما حدث في القاعة؟».

«ضع مسؤولية ذلك على التهور او الجنون. في اي حال، ما هي قيمة اللحظات الضائعة؟».

«لا، لا! كان الأمر حقيقياً وصادقاً. لا يمكنني ان اقبل. . .».

امسك بكتفيها، فدفعته عنها بعنف صارخة:

«لا تلمسني! لا تلمسني ابداً بعد الآن!».

حدق بها والشرر يتطاير من عينيه. ظنت انه سيصفعها، وتمنت ذلك. . . علّ الألم الجسدي يخفف نوعاً من عذاب النفس والروح. ولكنه لم يفعل شيئاً. سار نحو الباب وحمل الكرسي، ثم قال بمزيج من الغضب والتهكم:

«لن تحتاجين الليلة الى هذه الكرسي».

ورمى الكرسي بعنف بالغ على الجدار المقابل، فتحطمت شر تحطيم. غطت اليزا اذنيها بسرعة بسبب الصوت القوي الذي نجم عن ذلك. وما ان غادر الغرفة واغلق الباب وراءه بشراسة، حتى انهارت على سريرها. سمعته يغادر البيت. . . انه بالتأكيد ذاهب اليها! شعرت بالغيرة. . . اوه، لو لم تتصل تلك اللعينة. . . لكان معها الآن هنا!

لم تنم قبل الرابعة صباحاً. . . كانت منهكة ومتألمة ومعذبة! حلمت احلاماً مزعجة. . . تركزت كلها حول زاكاري. وكانت تنتهي جميعها الى نتيجة واحدة. . . تلاحقه فيهرب منها!

حدقت اليزا خارج النافذة، وتأملت اشعة شمس الظهيرة تبرق فوق لوني الخريف المفضلين. . . الأحمر والذهبي. استيقظت في وقت متأخر جداً، ولم تنزل لشرب قهوتها الا بعد ان اطمأنت الى ان زاكاري اصبح خارج البيت. حاولت التفكير بحل منطقي، ولكن المنطق لا يحكم قلبها. لم يعد امامها سوى خيار واحد.

اخرجت حقيبتها من خزانة غرفتها، وبدأت تجمع ملابسها

واغراضها. لم يعد بامكانها البقاء معه في بيت واحد. وفجأة، دخلت كريستين وهي تقول بمرح:

«كيف حالك، يا اختي الحبيبة؟ كيف كانت الحفلة؟ انا امضيت وقتاً عظيماً وممتعاً للغاية مع صديقتي واهلها. اوه... الى اين انت ذاهبة؟».

«سنذهب في رحلة قصيرة. ماذا فعلتما انت وماري ليلة البارحة؟».

«لا شيء يذكر الى... الى اين سنذهب؟».

«اوه، ربما لرؤية قريبنا مايكل».

تفحصت العينان الصغيرتان اليزا بدقة، ثم شاهدت حطام الكرسي والجدار الذي ارتطمت به قبل تحطمها. سألت اختها بانزعاج:

«ماذا حدث للكرسي؟ وللجدار؟».

«تحطمت الكرسي».

«من حطمها؟ انت؟».

عندما اجابتها اليزا نفياً، صرخت الطفلة:

«من اذن؟ زاكاري؟»

ردت عليها اليزا بكلمة واحدة فقط، واغلقت درجاً بقوة لم تكن ترغب في اظهارها.

«هذه الرحلة التي سنقوم بها... هل سنعود الى هنا عندما ننتهي منها؟».

تظاهرت بالضحك، وقالت:

«حقاً، يا كريستين! انك توجهين اسئلة عديدة!».

«لن نعود الى هنا، اليس كذلك لن نعود ابداً الى هذا البيت!».

«اسمعي، يا حبيبتي! اني اجد صعوبة بالغة في شرح هذا الموضوع لك».

لم تنتظر الصغيرة اي ايضاح او تفسير، بل خرجت بسرعة وهي



تبكي. عادت اليزا الى جمع حاجياتها، ولكنها سمعت فجأة صراخاً عالياً. ركضت الى الخارج وتطلعت نحو القاعة، فشاهدت كريستين تضرب زاكاري وترفسه صارخة:

«اكرهك! انا اكرهك! حطمت كرسي اليزا! اكرهك!».

«كريستين! توقفي فوراً عن هذا التصرف!».

«ماذا قلت لهذه الطفلة، يا اليزا؟».

صرخت كريستين:

«حطمت لها كرسيها، وعلينا الآن ان نذهب. لن نعود ابداً الى هنا. اعرف ذلك... لن نعود... ابداً... الى هنا!».

كانت تبكي بحزن وألم. قال لها انها لن تذهب الى اي مكان. حاولت الصغيرة ان تحتج، فقال لها:

«لا يهمني ابداً ما تقوله اختك. انت لن تذهبي الى اي مكان. اخرجي الآن الى الحديقة لأني اريد التحدث مع اليزا على انفراد».

ذهبت كريستين دون تردد. قدم لها سيجارة، فرفضت. اعاد السيجارتين الى العلبة، وسألها بعد دخولها مكتبه:

«لماذا تريدين مغادرة هذا البيت؟».

«انه سؤال سخيف جداً».

«لا ابداً اريد معرفة السبب».

«لأنني لا اريد تمضية دقيقة اخرى في هذا البيت... معك!».

«سأمنعك من الذهاب».

«اذا كنت خائفاً من موضوع المبلغ المتفق عليه، فاطمئن. انه لك منذ يوم زواجنا».

«كنت اعرف انك سوف تثيرين هذا الموضوع».

فتح درجاً قريباً منه واخرج كتيباً صغيراً، ورماه امامها قائلاً:

«هذا هو مبلغك بكامله. لم اسحب منه دولاراً واحداً. لم اكن

ابداً، والحمد لله، بحاجة اليه. انا لست غنياً، ولكنني مكتف ذاتياً».

«لا افهم... - لا افهم. على اي حال، فهذا الأمر لا يغير شيئاً بالنسبة الى قراري. سأذهب».

«قلت لرينيه امس انني لا اريد رؤيتها ثانية بعد الآن. لم اكن في اي وقت من الأوقات متحمساً كثيراً لمقابلتها».

«يا لك من رجل غبي... احرقت جسورك وراءك!».

حاولت ان تغادر المكتب على عجل، فامسك بكتفيها وهز جسمها بعنف ظاهر. شاهدت النار في عينيه والدخان في فمه. صرخ بها بحدة فائقة:

«هل نسيت سبب زواجك مني في المقام الأول؟ انت قلت لي بنفسك ان وصية امك تنص بوضوح على اقامتك مع زوجك لمدة سنة كاملة. لا يزال امامك اكثر من ثمانية اشهر، ايتها العزيزة».

«لا... لن تفعل شيئاً من هذا القبيل! اعرف انك تحبها، ولكن لتتركها بعيدة عن خلافاتنا... ارجوك! لن تخبر مارغريت، أليس كذلك؟».

تركها وسار نحو الهاتف. رفع السماعة وادار القرص مرتين، ثم قال:

«اعطني من فضلك منزل روي دتون في اوكلاند بولاية كاليفورنيا. لا... لا، ليس لدي رقمه. شكراً سأنتظر».

حدقت به بذهول، وهي لا تصدق عينيها. هجمت عليه واخذت السماعة من يده عنوة، ثم اعادتها الى مكانها بقوة. صرخت به:

«كيف يمكنك ان تكون قاسياً الى هذه الدرجة؟ كيف يمكنك ان تقدم على هذا العمل؟».

«لأنني لا اريدك ان تذهبي، يا اليزا».

لم تعد تشك في انه يعني ما يقول. كان ذلك واضحاً تماماً في عينيه





وفي ملامحه. سألته بصوت هامس عن السبب، فضمها اليه بقوة جعلتها تتأوه ألماً و... لذة. قال لها بصوت متهدج:

«لأنني غبي... لأنني بحاجة اليك. لأنني شاهدت التحفظ الثلجي يذوب ليلة امس... لأنك تحولت امس الى امرأة... امرأتي انا، يا اليزا. سأجعلك امرأتي مرة ثانية».

«ارجوك! لا تحاول اذلالي مرة اخرى! الا يكفي انك جعلتني احبك؟ هل تريد ايضاً كرامتي واحترامي لنفسي؟».

«هل تحبينني؟ حقاً؟ لا، يا حبيبتي، لا اريد ان اخذ منك كرامتك. اوه، يا زوجتي الحبيبة! كنت تعتقدين انني لم اكن ارغب امس الا في الحب معك. كنت اريد ذلك طبعاً، ولكن لأنني احبك! احتاج اليك لأنني احبك!».

«ارجوك، يا زاكاري، لا تلعب معي... لا تحاول استغلالي. لماذا تزوجتني؟».

«لم اكن ارغب ابداً في الزواج منك. تجاوبت معك تلك الليلة في نادي الفندق لأعرف الى اي مدى ستصلين بهدف استعادة اختك. يجب ان تتذكري انني كنت اعرف مدى قساوتك مع بول. وعندما ذهبت صباح اليوم التالي لأكشف لك حقيقة مشاعري تجاهك، شاهدتك على طبيعتك... وقررت الزواج منك. قلت لنفسي انني سأجعلك تقعين في حبي... وتتذوقين طعم الألم الذي مر به بول بسببك. لم اعرف او اتصور انني انا سأتذوقه ايضاً. لا شك في انني احببتك منذ ذلك الصباح».

لم تقاومه هذه المرة عندما ضمها الى صدره، وهي تتمتم له كلمات الحب والهيام. ولكن كلماتها كانت تختفي في عناقهما الحار. وسمعا فجأة صوتاً صغيراً يسألها بتردد:

«هل سنذهب؟».

اجابتها اليزا نفياً، وهي تنظر بغرام ووله نحو زاكاري. الا ان الرجل العاشق تركها وقال:

وربما لبضعة ايام . . . كشهر عسل متأخر بعض الشيء».
ثم حمل كريستين مداعباً بمحبة وحنان ، ورفعها بينهما حتى التصقوا جميعاً ببعضهم ، وقال :
«اننا الآن عائلة واحدة».